العيد الذهبي لاتحاد الكتاب العرب
1969 - 2019

الأدبي الأسبوع

www.awu.sy

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1676" الأحد 16/2/2020م - 22 جمادى الآخرة 1441 هـ | 16 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

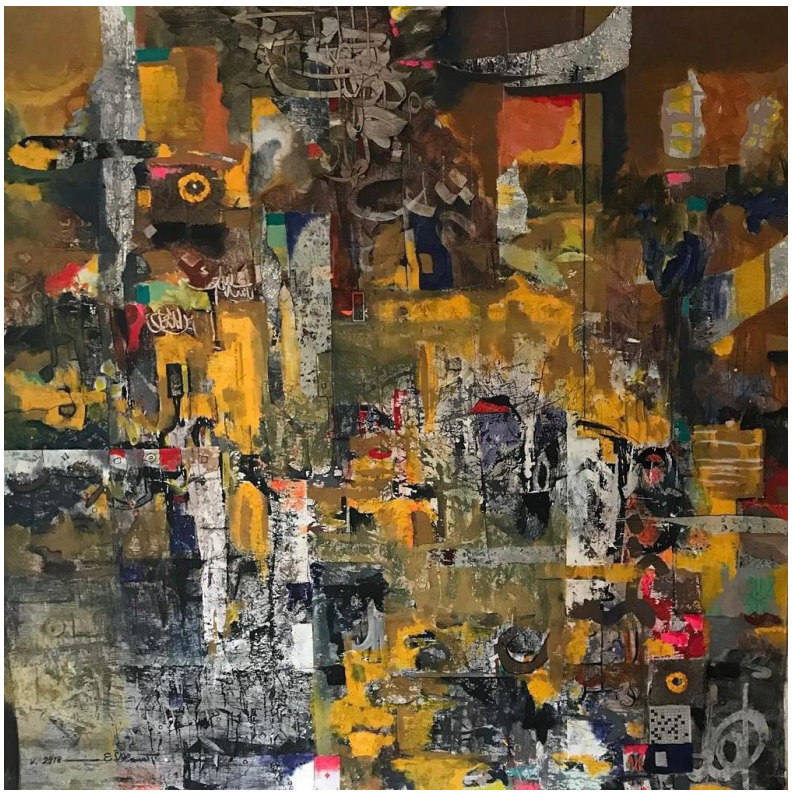

لوحتان للفنان التشكيلي أكسم طلاع

•مالك صقور

كلمة أولى

صفقة القرن و الذاكرة البغي

أن تسافر إلى بولونيا، فحتماً ستزور مدينة (كراكوف) الأثرية، وعندما تزور مدينة كراكوف، حتماً سيقترحون عليك أن تزور معسكر اعتقال (أوشفينتشم)؛ الذي يطلق عليه البولون: «متحف الموت» الذي يقع في إحدى ضواحي مدينة كراكوف. ويقفز إلى الذهن حالاً: «متحف الموت»!! يا للفظاعة، يا للشناعة!! فهل أعدّوا للموت متحفاً!

في هذا «المتحف» ستصاب بالغثيان، والقرف، والتقزز.. فمرأى هذا «المتحف» تقشعر له الأبدان، يقف شعر الرأس.. وأمام عينيك تُشخّص بربرية النازية الهتلرية، وهمجيتها، ووحشيتها، وقذارتها، وصفاقتها، وجرائمها..

وتقف الدليلة السياحية تشرح لا تكلّ ولا تملّ من الحديث بالتفاصيل، بحماسة لكن الأسى والحزن يغلفان لهجتها، تقول: هذه الشجرة شاهدة على كل شيء، (وتشير إلى شجرة كبيرة)، لو كان لها لسان ينطق.

ومن هذه البوابة، أدخلوا أكثر من أربعة ملايين إنسان، وأُخرجوا من بوابة أخرى، جثثاً مشوهة.

على بوابة معسكر الاعتقال «أوشفينتشم» الكبيرة، كُتب بالألمانية بحروف كبيرة: «أربيت ماخت فري» يعني: «العمل يصنع الحرية».

فيا للسخرية، ويا للفظاعة، فعن أي عمل يتحدثون، وبأيّ حرية يَعدون!

متحف الموت هذا في بولونيا، قرب مدينة كراكوف واحد من عشرات معسكرات الاعتقال التي بناها الفاشيون منذ بداية الحرب العالمية الثانية، وجعلوا هذه المعسكرات للتعذيب والأعمال الشاقة، وللتنكيل بمناضلي أوروبا، وبالفدائيين الذين قاوموا النازيين والفاشيين، في هذه المعسكرات ارتكب الفاشيون فيها أشنع الجرائم وأفظعها، وجبين التاريخ يندى خجلاً من هذا العار الذي لطخ وجهه ووجه البشرية.

ومن لا يمتلك أعصاباً حديدية، لا يستطيع أن يشاهد ما بقي من آثار ووحشية تلك الجرائم، وحتى الصور المعلقة على الجدران.

تقول الدليلة:

عندما يصل القطار محملاً برجال ونساء وأطفال، وتنفتح أبواب العربات، فتتدلق الأجساد وتتكوم متلوية: عطشاً، وجوعاً، ومرضاً، وتعباً، وإرهاقاً، وذعراً.. ومنهم مَنْ يكون قد فارق الحياة..

وتبدأ الرحلة: يمر الطبيب أولاً: يبقر بطون الأمهات الحوامل، ويجري التجارب على التواءم، (كان هتلر - كما تقول الدليلة - يريد أن يستأصل العرق السلافي، من أوروبا، خاصة النساء، لأنه عرق جميل جداً).. ومن ثم يأتي طبيب الأسنان، فيقتلع الأسنان الذهبية، ويأتي غيره ينتزع الأساور والخواتم الذهبية، وكل الحلي، وكان كل يوم يُصدر أكثر من عشرين كيلو ذهباً إلى (الرايخ).

بعد ذلك، يأتي دور الحلاق. فيجزّ شعر النساء، يُرسل إلى الرايخ أفضله لصنع (الباروكات) - والباقي، تقول الدليلة، هل ترون هذه السجادة وهذه الحصيرة، إنه من هذه الضفيرة الذهبية، المعلقة قرب السجادة. بعد ذلك يُساق الجميع إلى الحمام، وهناك اسطبل كبير جداً، ويفتح من الأعلى برشاشات خاصة، غاز السيلكون، وبعد ربع ساعة تتلوى الأجساد مختنقة، بعدها يكون الفرن جاهزاً، فيحرقون الجثث.

هذه المحرقة، لم تكن للصهاينة، كما استغلها، ويستغلها الصهاينة، بل أثبت العالمون بالأمر، أن الصهاينة تآمروا مع هتلر على حرق بعض جثث اليهود، واستُغلت فيما بعد، تحت عنوان «الهولوكوست».

وإن صبرت وتمالكت أعصابك حتى النهاية في متحف الموت، ستلوي عنقك وتبصق على تلك الحضارة التي أفرزت الفاشية والنازية، التي وُلد من رحمهما الكيان الصهيوني، هذا الكيان الصهيوني لا يذكر بالفاشية والنازية فحسب، بل جعل الناس تنسى جرائم النازية، لأن الصهاينة في فلسطين يرتكبون أشنع الجرائم وأبشعها، كما فعل النازيون في أثناء الحرب العالمية الثانية، لا بل فاقت أفعال الصهاينة في فلسطين أفعال الهتلريين، إذ يتفننون في التعذيب، فها هم يقبرون الشبان أحياء، ويكسرون أطراف الأطفال أمام آلات التصوير، ويحرقون البيوت، ويقتلعون الأشجار، والذاكرة البغي تتناسى مصير هتلر وموسوليني، تتناسى مصير الفاشية والنازية.

الذاكرة البغي تتناسى الحتمية التاريخية، وأن الكيان الصهيوني يحمل بذور فنائه.

الذاكرة البغي تتناسى أنه لا يمكن أن يستمر حكم عنصري بالحقد وبالنار والحديد.

الذاكرة البغي تتناسى أن الشعوب تمهل ولا تهمل.

الذاكرة البغي أخرجت التاريخ من رأسها، لا تعرف أن جيلاً قد ولد، واستيقظ ونهض، وأن كل تهديدها بصفقة القرن لا تخمد ثورته بل ستزيده لهيباً، بل ستسقط صفقة القرن، وكل الصفقات التي تضيع حق الشعب العربي الفلسطيني.

جماليات الأسلوب في الرواية الأمريكية
دراسة ومتابعة من د. ماجدة حمود.

• سريعة سليم حديد

من اللافت أن تختار الأديبة ماجدة حمود دراسة للرواية في أدب أمريكا اللاتينية، والسبب أنها تجمعها مع أولئك الأدباء روابط من الهموم السياسية والاجتماعية ولاقتصادية.. كذلك ظهرت محبتها لتلك الأجناس الأدبية، بالإضافة إلى شهرتها العالمية، وسهولة ترجمتها.

تابعت الأديبة في مقدمتها شرح مصطلح أمريكا اللاتينية، وبيَّنت تطور الرواية فيها باحثة في مظاهر التخلف، داخلة في التاريخ والخصوصية الهندية، باعتبار الهنود هم سكان أمريكة في الأصل، ومن ثم الحداثة.

الأديبة اعتمدت خطة معينة في بناء دراستها وهي أولاً: مقدمة عن حياة الأديب. ثانياً: تبيان جماليات الرواية عند عدد من الأدباء مفصِّلة في الجماليات المختلفة في رواية كل أديب منها مثلاً جماليات الافتتاحية، جماليات العنوان، جماليات الإهداء، الخاتمة، الزمن، المكان،العنوان، لغة الحوار...

جماليات رواية الأديب: (خوان رولفو) التي بعنوان: (بيدرو بارامو)

تعبر (حمود) مفاصل الرواية من خلال لفت النظر إلى أهميَّة دلالة العنوان، وجماليات الافتتاحيَّة التي تقع عليها ثقل الرواية، فهي كقوادم الريش من جناحي الطائر التي يمكن لها أن تحلق بالمتلقي منذ الأسطر الأولى من القراءة.

يبدو لفت النظر واضحاً إلى جماليات رسم الشخصيات في الرواية وأهمها شخصية «بيدرو بارامو» طباع شريرة، مواقف حادة، رسمٌ لمعالم الوجه القاسي.. لكن ليس من الممكن في أي حال أن يكون الشخص شريراً خالصاً، فلا بد له من أن يقوم بأفعال تتجه نحو الخير، ووضح هذا جلياً حين تقلى خبر وفاة ابنه، فعاد ليحاسب نفسه، وكأن الأمر قد أمسى بمثابة العقاب له.

وتتطوَّر شخصية (بيدرو بارامو) ليتضح جمالها في قصة حبه (سوزانا) فظهرت لغته الشاعرية، وتلاشت طباعه الغليظة.

شخصية «سوزانا» الطفلة سحقها «بيدرو بارامو» حين دلاها في حفرة مظلمة، وطلب منها أن تخرج له ما في داخلها، فأخرجت الطفلة جمجمة، وعظاماً وسلاميات، إلا أنها لم تجد ما كان يطمح في أن يجده والدها من ذهب. هذا المشهد رسم معالم شخصية الطفلة التي سحقت تحت وطأة الكابوس الذي رافقها طيلة حياتها. تقول (حمود) :«هنا نتساءل: ألا يعد تدمير شخصية الإنسان مساوياً لتدمير الحضارة؟ أليس الإنسان هو الذي يبنيها؟ إذا دمَّرناه، دمَّرنا إمكانية إنشاء هذه الحضارة» ص46

شخصية الأب (رينتيريا) مفعمة بالصراع، فكيف لرجل الدين أن يستمع لعذابات الناس، وليتشفَّع لهم عند الرب، وهو في الوقت ذاته يرتكب المعاصي؟!

هناك فكرة راحت (حمود) تظهرها جلياً من خلال عكس إحساس الكاتب (خوان رولفو) على وجوه شخصيات الرواية، هل هذا الإحساس المشبع بالذنب نتيجة قتل أجداده للهنود الحمر، وارتكابهم أفظع الجرائم بحقهم، واكتشافه بأنهم يعيشون على أنقاض حضارات الهنود الحمر وجثثهم؟!

جماليات رواية : (غبرييل غارسيا ماركيز) مئة عام من العزلة.

يتنوَّع البحث في إظهار جماليات مختلفة عما نجده في روايات أخرى منها جماليات الغرائبية وعوالم الواقعية السحرية ، ونقد الظواهر الخارقة، واللغة الساحرة.

يبدو واضحاً الجهد الكبير في البحث الدقيق والمحاولة لربط السيرة الذاتية للكاتب (ماركيز) بسير أحداث روايته: مئة عام من العزلة. ومن هنا تظهر جماليات روايته، الشخصيات، الواقع الصعب المعاش، الإرث الثأري، والدموي الذي نشأ عليه الأجداد.. كل ذلك ساهم في وصول الرواية إلى العالمية.

بالانتقال إلى الروائي: ماريو فارغاس يوسا. المولود عام 1936 نجد حياته مشبعة بالأدب، عمل في أوَّل نشأته مصححاً لصحيفة يومية، ثم مراسلاً أيضاً، ويعدُّ باحثاً أدبياً من الطراز الأول، كتب المسرحية والقصة والرواية، وكان أستاذاً جامعياً.

شروط الإبداع الروائي في نظره تكمن في التفرُّغ للأدب بالدرجة الأولى، فالأدب مسيرة مليئة بالتعب والصبر والتواضع: «فيتحوَّل الأدب إلى نشاط دائم، إلى شيء يشغل الوجود.. إن من يتبنَّى هذا الميل الجميل والممتص، لا يكتب ليعيش، بل يعيش ليكتب.» ص133

هذا بالإضافة إلى أن الخيال برأيه يفسح المجال لنسج حياة خيالية، تعلن رفضها للحياة الواقعية، وانتقادها لها، أي على الكاتب أن يرفض الرضوخ لظروف الواقع.، ولهذا تبدو الحياة المعاشة أقل مصداقية من الحياة التي اختلقها الروائيون.

كما يتمنَّى من الروائي أن يكون صريحاً، ثرثاراً، قليل الكلام حيناً، ولعوباً، وجدياً في بعض الأحيان. المهم أن يمتلك الطريقة المناسبة لإقناع المتلقي بما يكتب.

بالانتقال إلى إيزابيل اللندي تظهر سيرتها الذاتية من خلال رواياتها «باولا» حيث كانت إيزابيل صحفية، ومن ثم تحوَّلت إلى روائية.

تبحث (حمود) في جماليات رواية إيزابيل الليندي. التي بعنوان: «مدينة الوحوش» من خلال العديد من الجماليات منها: العنوان، الإهداء، الافتتاحية، مشهد مؤثر، جماليات التنوُّع.. وتفرد (حمود) باباً تتحدَّث فيه بشكل مفصَّل عن جماليات لغة الرواية أيضاً.

تختم المؤلِّفة كتابها بدراسة عن الروائي: «باولو كويلهو» مبيِّنة المؤثرات الثقافية التي شكَّلت مخزونه الروائي، وخاصة المؤثرات العربية منها مثلاً: ألف ليلة وليلة.

درست (حمود) جماليات رواية «باولو كويلهو» السيميائي، والتي ترجمها إلى العربية الروائي المصري (بهاء طاهر)، وقد غيَّر عنوانها إلى: ساحر الصحراء. وقد بيَّنت (حمود) في خلاصة دراستها قائلة:

«لعل أجمل ما يستوقفنا في الرواية اقتران الحكمة بالبساطة، لذلك تتغلغل في الأعماق، فتستطيع أن تزوِّدنا بقوة روحية، نواجه عبرها أعباء الحياة. لذلك أسهمت البساطة الشكلية في إغناء الرسالة التي تقدمها الرواية، لا في تسطيحها، لهذا لن نستغرب أن نجد من يقارن هذه الرواية بكتاب النبي لجبران خليل جبران، أو برواية الأمير السعيد لسنات إكزيبوري.»

وختمت المؤلفة كتابها بخاتمة موجزة عن عملها الذي درست فيه نماذج مميَّزة لخمسة من الروائيين من أمريكة اللاتينية الذين قدَّموا أعمالاً هامة، وإنجازات أدبية بفنية مدهشة.

تجمع الروائيين صفات متقاربة كممارسة الصحافة، والكتابة للسنما والتلفاز، والنظرة العميقة لنظرية الرواية. كذلك عاشوا حياة ملؤها الألم، وقاوموا، وأثبتوا جدارتهم في التغلب عليها.كما نلاحظ ارتباط الروايات بالسير الذاتية للمبدعين.

. رحلة في جماليات رواية أمريكة اللاتينية، د. ماجدة حمود. إصدار اتحاد كتَّاب العرب عام2007

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

حفِظَ القرآنُ الكريمُ لغتنا العربية من اللحنِ أي الوقوعِ في أخطاءٍ صرفيةٍ ونحوية، فلا حاجة إلى الاحتكام إلى غيرالقرآن من شعرٍ أو نثرٍ بوجودِ شاهد من آي الذكر الحكيم حاسمٍ لتصويبِ حالةٍ أو مسألة تعرضُ هنا أو هناك في أقوالنا مكتوبةً ومنطوقة.

ونسمع في الحين تلو الحين لحوناً ينبغي التنبُّهُ إلى معرفتها وتلافيها من بعد. من ذلك على نحو التمثيل قول الناس : كان لسيبويهَ تأثيرٌ مباشَرٌ على دارسي النحوِ العربي. في هذه الجملة ورد خطآن اثنان: الأول كلمة (مباشَر) بفتح الشين ،والصوابُ أن نقول : (تأثيرٌ مباشِرٌ) بكسر الشين؛ لأن كلمة (مباشر) وقعت هنا صفةً مرفوعةً بالضمِّ للمصدر (تأثير) المرفوع بالضمِّ لوقوعه اسماً للفعل الماضي الناقص (كان). وهذا لا يعني أن تكون كلمة (مباشِر) مرفوعةً دائماً؛ فإن تلتْ مفعولاً به جاءت صفةً منصوبةً، كقولنا: رمى كرةً مباشَرَةً. الخطأ الثاني الوارد في مثالنا السابق هو عبارة(تأثيرٌ على)،والصواب أن نقول: كان لكذا تأثيرٌ في كذا. نقول: أثَّرَ فيَّ رحيلُ صديقي. وكان لضياع مالي أثرٌ في تمكني من جمع ثروة.

كلمة (مُعَمّر) من الأخطاء الواسعة الانتشار في مجتمعنا. يقولون: فلانٌ مُعمِّرٌ في السن – بكسر الميم. وهؤلاء القوم من المعمِّرين. هذا خطأ محضٌ. الفعل (عَمَرَ) يَعْمُرُ بمعنى (بنى) يكون اسم مفعوله (معمور)،أما الفعل (عَمَّرَ) فاسم مفعوله (مُعَمَّرٌ)كمُقدَّم ومقدَّس. وإذا بُنيَ الفعلُ الماضي (عَمّرَ) للمجهول أصبح (عُمِّرَ) وكان اسمُ مفعوله (مُعَمَّر) كمُؤَجَّل .وفي المعنى العميق للفعل عُمِّرَ لا بدَّ أن نتذكر أن الله عزَّ وجلَّ هو من يُعمِّرُنا أي يبسطُ في أعمارنا وينسأ في آجالنا .قال تعالى في الآية الحادية عشرة من سورة (فاطر):

«وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ».

الوعدان الكارثيان

• د . إبراهيم يحيى شهابي

قبل مائة عام صدر وعد بلفور، وعقدت إثر إعلانه عشرات المؤتمرات العربية والإسلامية للتصدي له. وصدرت بيانات وتصريحات وقرارات ، وخرجت مظاهرات لاحصر لها تندد به وتدينه وتصفه بأنه وعد من لا يملك لمن لا يستحق ، وغير ذلك من الأوصاف التي تؤكد عدم قانونيته وإنسانيته .

فماذا كانت النتيجة ؟

قيام دولة إسرائيل وتشريد الشعب الفلسطيني وحرمانه من حقه في العودة إلى وطنه والعيش فيه بأمن وسلام كبقية شعوب الأرض .ومن النتائج ايضاً ما نشهده اليوم من تمزيق للوطن العربي وإذكاء للنزاعات العربية العربية والإسلامية الإسلامية والعربية الإسلامية وتعاظم لنفوذ الحركة الصهيونية العالمية حتى إنه يمكن وصف هذا العصر بالعصر الإسرائيلي الصهيوني.

فإسرائيل أصبحت هي القوة العظمى نفوذا في العالم لدرجة أنه ما من دولة تتخذ قرارا يتعلق بما يسمونه الشرق الأوسط إلا بموافقة إسرائيل إضافة إلى أن بعض الدول الكبرى أصدرت قرارات تجرّم من ينتقد الهولوكوست أو اليهود ،علماً بأن ما تقوم به إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني أبشع بكثير من الهولوكوست. والأسوأ من ذلك أننا نشهد اليوم دول عربية ولإسلامية تعقد مع الكيان الصهيوني معاهدات صلح ومنها من يتودد إليها.

وفي مطلع المائة سنة الثانية ، في 2017/12/6 صدر وعد ترامب المماثل، حتى في صيغته بحق السكان الأصليين في القدس وأماكنهم المقدسة لوعد بلفور، فقد منح القدس كلها مكافأة لإسرائيل بالرغم من تنكرها لقرارات الأمم المتحدة ومتابعتها التنكيل بالشعب العربي الفلسطيني وبالرغم من كل ما قدمه العرب لأمريكا من أموال وكل ما أبدوه لها من ود وصداقة وتعاون وتحالف ، وبالرغم من المبادرات العربية للسلام التي ألقت بها إسرائيل في سلة المهملات.

لا أريد هنا أن أحلل قرار ترامب وإثبات عدم شرعيته وبيان مخاطره ، فلسوف يكتب الكثيرون حول ذلك ، ولكن أريد القول : "إذا ما استمر الرد العربي والإسلامي والعالمي بالطريقة التي تم الرد بها على وعد بلفور فإن النتيجة ستكون أعظم كارثية. سوف تبتلع إسرائيل فلسطين كلها وتهدم المسجد الأقصى وتدنس كنيستي القيامة والمهد وربما تدمر المعالم المقدسة للمسلمين والمسيحيين في فلسطين، وسوف يتوسع مجال سيطرة

الصهيونية ليشمل أماكن مقدسة أخرى كالحرمين الشريفين والحوزات الدينية وغيرها من مقدسات المسلمين والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم في المنطقة كلها، والتحكم في مقدرات العرب" المسلمين والمسيحيين" والمسلمين" العرب وغير العرب" في العالم كله".

وللحيلولة دون حصول هذه النتائج الوخيمة لوعد ترامب وما أسموه صفقة القرن ينبغي أن يتخذ العرب على اختلاف اديانه والمسلمون على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم الخطوات التالية :

1ـ أن تصدر م. ت . ف قراراً بإلغاء اتفاقات أوسلو وما ترتب عليها وأن تسحب اعترافها بإسرائيل فالأخيرة لم تعترف أصلاً حتى الآن بالدولة الفلسطينية لقاء اعتراف المنظمة بإسرائيل ، بل إنها تحاول ألا يكون هناك شيء اسمه دولة فلسطين كما صرح نتنياهو أكثر من مرة.

2ـ تحقيق الوحدة بين الفصائل الفلسطينية حول استعادة الحقوق الفلسطينية المشروعة وفي مقدمتها حق كل لاجئ فلسطيني في العودة إلى أرضه وبيته ذلك الحق الذي أكدته مئات القرارات الدولية وفي مقدمتها القرار 194، والاحتفاظ بالقدس عاصمة تاريخية وسياسية وثقافية ودينية للفلسطينيين كلهم.

3ـ تفجير انتفاضة فلسطينية عارمة ضد إسرائيل لا تهدأ حتى يستعيد الفلسطينيون كاملة غير منقوصة.

4ـ إلغاء معاهدات السلام المعقودة بين بعض الدول العربية والإسلامية وإسرائيل.

5ـ تفعيل المقاطعة للكيان الصهيوني ومن يدعمه.

6ـ أن يدعم العرب والمسلمون كافة الانتفاضة الفلسطينية وبكل ما يمكّنها من تحقيق أهدافها الاستراتيجية.

7ـ دعوة العالم إلى الاعتراف بالدولة الفلسطينية وبالقدس عاصمة لها.

وأعتقد أن العالم لن يستجيب للموقف العربي والإسلامي المناهض لقرار ترامب وما يرمي إليه وما سيسفر عنه إلا إذا استطاع العرب والمسلمون إنهاء النزاعات فيما بينهم للتفرغ لمواجهة المخططات الصهيونية العالمية.

فإن نجح العرب ا" المسلمون والمسيحيون" والمسلمون " العرب وغير العرب" في اتخاذ مثل هذه الخطوات فإن السلام سوف يعم المنطقة والعالم وسوف يسود الاستقرار والأمن وتختفي مظاهر التطرف والإرهاب وتنتعش الحياة وتزدهر . وإلا فإن كارثة مدمرة ستحل بالعالمين العربي والإسلامي بوجه خاص لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

وأخيراً نعول على الشعب الفلسطيني وأستنهضه بأن يكون هو المثال الذي يحتذى للتصدي للظلم العالمي والصهيونية العنصرية الاستيطانية الإحلالية. فصمودهم وتضحياتهم هي التي سوف تشفي الأمة من عللها وهي التي سترفع رايات النصر المؤزر.

" يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" آل عمران 200

" يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون" الأنفال 45

" ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" آل عمران 139

(أحلام قوس قزح) لجمال قاسم السلومي :

قصص واقعية تحاكي معاناة طفلنا العربي في ظل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وأمراض العصر

• عبير منون

من بين التحولات التي طرأت على الأدب العربي الحديث، كان الالتفات إلى كتابة كل ما يتعلق بتنشئة وتثقيف الطفل ومحاكاة عقله. وقد ظهر هذا الالتفات في كتابات الروّاد من أمثال رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك ومحمد الهراوي وغيرهم، وتوالت الكتابات الأدبية حتى وقتنا الراهن لنقف الآن في محراب عمل أدبي راعى فيه كاتبه مستوى الطفل الإدراكي وحرص على وجود عامل التشويق في كل قصة، إنها المجموعة القصصية (أحلام قوس قزح) للكاتب جمال قاسم السلومي، قصص واقعية تحكي معاناة طفلنا العربي في ظل الأزمات الاقتصادية والإجتماعية وأمراض العصر.

ما يلفت نظر القارئ في هذه المجموعة القصصية، بعض الحكايا الواقعية التي نضجت في خيال الكاتب لتعطي دروسا للأب في تربية ابنه، فتارة هو الأب الذي يقسو على ابنه ويطلب منه ترك المدرسة حتى يساعده في الدخل المادي للبيت، وتارة يكون الأب الذي يريد من ابنه أن يكون رجلا وهو مازال طفلا متناسيا أنه كان يوما من تلك الأيام التي انصرمت طفلا مثله لا يفكر إلا باللعب.

في قصة (المقلمة) أراد الكاتب أن يلفت نظر المعلم والأب في آن واحد عن كيفية ردع الطفل الذي يكذب والطريقة المثلى للتخلص من هذه العادة السلبية، وهي الحوار المثالي المتبادل بين المعلم والتلميذ من دون اللجوء إلى العقاب الجسدي أو المعنوي الذي ممكن أن يطيحا بشخصية الطفل ولتحوره إلى مجرم في يوم من الأيام.

تعددت المناسبات التي كتب لأجلها كاتبنا الحساس لتشمل قصة الطفل الذي ماتت أمه مذ أن كان في الثالثة من عمره، فيتزوج والده وتجتهد الخالة على إخراج الطفل من المدرسة، رغم تفوقه و تجبره على بيع المخلفات البلاستيكية بحجة مساعدة والده في مصروف البيت، لكن الطفل يصر على أن يتابع دراسته واعداً إياها أنه سيقدم المال، إلى جانب دراسته، وتشاء الأقدار أن يموت الطفل في حادث سير وهو يقطع الطريق حالما كيف سيعود للدراسة بعد الانتهاء من عناء العمل وقبضه للمال. وفي المقابل نقرأ قصة مشابهة لطفل آخر يتيم يعمل بلم النفايات وأكياس النايلون فيوقفه رجل مكافحة البطالة ويكيله باللكمات والركلات من غير رحمة صارخا به : تتظاهر ببيع أكياس النايلون بينما تقوم بالنشل والتسول !

ولكن الرحمة لاتزال موجودة في قلوب الكثيرين التي توقف يد هذا الرجل عن الطفل الذي أدمى جسده ليطلقه في بوابة الحرية من جديد ويقول لنا : هؤلاء الأطفال أولادنا، ولدي، وولدك، وولده، هم أمانة في أعناقنا، ولو لم يكونوا في أمس الحاجة لما أقدموا على هذه المهن المخربة.

في قصص السلومي معاناة حقيقية بين جيلي الآباء مع الأبناء وقد نجح في اختراق بوابات المشاكل في قصة (حكايات جدي) ليصور لنا الحياة التي تكرر نفسها وأن الابن يجب عليه أن يرعى والديه عندما يكبران وألا يفرط بهما لأن الطفل يلاحظ معاملة والده لجده العجوز، فعليه أن يدرك أنه كما يعامل والديه سيعامله ابنه بالمثل.

الحقيقة أن الكاتب في هذه المجموعة القصصية الهادفة اختصر معظم المشاكل وعرف كيفية زجها في بحور صفحاتها ومفادها ضرورة تبني القيم والفضائل على المستوى الشخصي وعلى المستوى الاجتماعي لأن من شان ذلك تبديل الحياة إلى حياة أفضل مع طرح وتصور حلول منهجية تواكب الحياة في ظل الظروف الصعبة التي نعيشها، فاستعمل مفردات لغوية قوية جريئة للتعبير بمنطقية عن القضايا التي تم طرحها.

أبطال هذه المجموعة هم (أطفال) جرت في أمكنة وأزمنة متعددة وأظهر السلومي أن الرأسمال الحقيقي للإنسان هو الأخلاق، وغير ذلك هو تخبط متعمد لانحلال وتفكك اجتماعي الذي تتضمنه التعددية الثقافية والهجرة إلى الكوارث الحتمية حيث النهاية المؤلمة

قصص متلاحقة جريئة شيقة يسبح فيها القارئ بمرادفات كلامية بسيطة تتناول قضايا الطفل المتعددة والتي تعتبر الأهم فكما نعلم أن الطفل هو بذرة المستقبل وإن لم نعتني بهذه البذرة فلن يكون هناك زرع مثمر

دائماً، لا تحسنوا الظن بالغرب(٣)

• حسن إبراهيم احمد

مرّة أخرى أكتب تحت هذا العنوان. إنه تحصيل حاصل طبع تفكيري تجاه هذا الغرب الذي لم يعد غريباً على من يتمعن محكماً الملاحظة المباشرة ومبدأ الشك في السطحي والعميق الذي يصدر عنه. لكن ماذا نفعل فيمن لا يشغل تفكيره، فيما فعل ويفعل وسيفعل الغرب ما استطاع، حين نبقى منصاعين لإرادته.

ومسبقاً، إذا كنت أحمّل المسؤولية للغرب عن جرائمه التي لا تنقطع، ولن تنقطع ما أمكنه، في بلادنا، فإنني أحمّلها قبل ذلك لأبناء العرب والعروبة حكاماً وشعوباً، ممن لا يزال عند أي منهم أي مستوى من الثقة بإرادة الغرب الطيبة تجاهنا. لقد أصبحت مقاصده واضحة إلا لمن يصر على تجاهلها، ثم لا نزال نرى أغلب (حكام) الأمة، وبعض (مثقفيها) يثقون (أو عن غير ثقة) بهذا الغرب ويرتمون بأحضانه ناشدين البقاء في مواقعهم والخلاص من متاعبهم على يديه الملوثتين بدمائنا وتخلفنا، وهو صانع المتاعب والإعاقات لنا. لأن معظم هؤلاء الحكام لا يرون في شعوبهم مصدر شرعية وجودهم، بل لدى الغرب.

إحدى أهم مشكلاتنا – عيوبنا، في هذا الجانب، أننا نصدق ببساطة وسرعة، وربما ببلادة، ما يجب أن نتوقف عنده كثيراً مما يقوله الغربيون، فكلامهم لا ينطوي على مصداقية تامة في كثير من الأحيان، خاصة فيما يخص العرب وبعض الشعوب الأخرى، فالشكوك في أقوالهم ونشاطاتهم التي تبشرنا بإنسانيتهم تجاهنا، تفضحها مواقف وأفعال زال عنها الغبش منذ عقود طويلة.

في كتاب « علمتني الحياة» الذي كان هدية مجلة « الموقف الأدبي – العدد 574»، والذي يتضمن خلاصات لما تعلمه بعض العرب من الحياة، وعددهم خمسة وعشرون من أبرز مثقفي العرب خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكذلك واحد وثلاثون من الأمريكان الغربيين، والكتاب في الأساس مشروع غربي، وهو جيد ثقافياً، إلا أننا يجب أن نتوقف عند خطاب الغربيين، راسمين إشارات الاستفهام، وفي طليعة هؤلاء الأمريكان الذين أنجبتهم بريطانيا (الأنكلو ساكسون) وسياساتها.

نقرأ في الكتاب آراء المستكتبين ونجد فيها مشاعر النبل والقيم الرفيعة: الحب، التسامح، الاجتهاد، الأمانة، التعاون، الإيمان، نبذ الشرور، التزود بمشاعر الخير، الحفاظ على كرامة البشر، الحض على العمل الصالح، مواجهة آلام الحياة، إشاعة المثل العليا، الثقة بالعقل، الدفاع عن إنسانية الإنسان، أن نكون جديرين بالحياة، الإيمان بخلود الروح ومثلها العليا، تعزيز الروابط بين البشر ونبذ الحروب، البحث عن السعادة، تصدير التجارب الإنسانية الناجمة، توفير الحياة الكريمة والسليمة.. وغيرذلك.

هذه المعاني السامية نقرأها فيما كتب الكاتبون عن تجاربهم وعلاقاتهم وما تعلموه. ومن هؤلاء سياسيون (رئيس جمهورية مثلاً) وفلاسفة واقتصاديون ومهنيون وفنانون وصحافيون وعلماء.. إلخ. بمعنى أنهم من نخبة مجتمعهم الأمريكي، ومنهم من عرفناهم وكان لهم تأثير وانتشار، وليس منهم من ليس صاحب موقف لافت. وكثير من الأفكار التي طرحوها مفعم بالإنسانية، تستقطب الناس معها لا ضدها، ولا يرفضها عاقل. لكن المسألة تكمن في ترجمة هذه الأفكار عملياً في سلوك وسياسات الأمريكيين، وبروز التناقض قديماً وحديثاً بين الأفكار الرفيعة، والممارسات الوضيعة، مع ملاحظة أن العظماء من فلاسفة وغيرهم يعيشون أفكارهم عملياً، ويسعون لتعميمها في مجتمعاتهم وغيرها.

وهذا ما نلاحظه في حياة الغربيين بعيداً عن حياتهم داخل بلدانهم ومع شعوبهم، فتجارب حياتهم مع شعوب العالم، خاصة الفقيرة، تنضح بما يصعب تصديقه من قذارات وجرائم.

المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي في كتابه « سنة 501 الغزو مستمر» والصادر 1992 بعد خمسة قرون وسنة واحدة من اكتشاف أمريكا، يرى أن كل هذه السنوات هي غزو أمريكي للبشر والشعوب الأخرى، ويسرد الكثير من الجرائم الأمريكية تجاه الشعوب الأخرى والإنسان بعامة. ومن أراد تفاصيل حول ذلك، فليقرأ ما كتبه ويكتبه منير الحمش، خاصة في كتبه ومنها ثلاثة حول الإبادات: الجنسية والجماعية والثقافية، مذكراً بإبادة /112/ مليون من سكان أمريكا الأصليين بحيث لم يبق منهم في بداية القرن العشرين سوى ربع مليون نسمة.

ومن نماذج تفكير الأمريكي، أن عضو الكونغرس سام جونسون قال في 19 شباط 2005 « كم أتمنى أن أحمّل طيارة حربية مقاتلة من نوع إف 15 برأسين نوويين وأقودها طلعة واحدة نتخلص بعدها من كل ما اسمه سوريا» (تصفيق حاد وهتاف) كما يورد الحمش (الإبادات الجماعية ص 89). ويورد « أن الغالبية العظمى من الأمريكيين تتمنى أن ترى قنبلة نووية تلقى فوق عاصمة عربية كبرى.. إنهم يريدون استخدام السلاح النووي دون تحفظ» ويطالب باستخدام الأغطية الملوثة بالجدري كما فعلوا مع الهنود الحمر (الإبادات الثقافية نقلاً عن المذيع والكاتب الشعبي: ميشال سافاج ص22 حاشية).

وينقل العكش من أناشيد الجيش الأمريكي : « اثخنوا في حناجرهم تقطيعاً.. تحت الراية الأمريكية المتلألئة بالنجوم... مدّنوهم ببندقية» (الإبادات الثقافية ص223)، و « كفنوا العرب والمسلمين الإرهابيين.. برقائق من لحم الخنزير» (جندي أمريكي. العراق ص223).

وينقل العكش أن تشرشل (رئيس وزراء بريطانيا سابقاً) اعتبر الفلسطينيين «مقيمين غير شرعيين في فلسطين حيث لا يملكون منها إلا ما يملكه الكلب من حظيرة صاحبه حتى لو عاش فيها فترة طويلة» (السابق ص88) مكملاً طريق أسلافه مثل بلفور، ومظهراً مدى قذارة عقل (الزنابير).

كنا نقول: كانت هذه الأفكار في الماضي، إنما ما الفرق بين الماضي والحاضر في سياسات ومواقف هؤلاء؟

هذه هي قيم الديمقراطية الغربية الراسخة، لكن هذه السلطات في هذه البلدان، والتي ترتكب كل الجرائم والحماقات تتفلت من ضغط شعوبها عليها عندما تكون جرائمها ضد الشعوب الأخرى، حتى لو بلغت هذه الجرائم حد تدمير الدول والمجتمعات. ولا يصح تبرئة تلك الشعوب التي تعيد انتخابات أكثر حكامها إجراماً بحق الآخرين، لتنحصر ديمقراطيتها في محاسبة هذه السلطات على الأخطاء الداخلية مهما كانت ضئيلة في بلدانها. ما يعني أن ما نقله كتاب «علمتني الحياة» لم يكن موجهاً لنا، ولا لنشر القيم التي وردت فيه داخل مجتمعاتنا. فالإنسان وحقوقه التي يتم السعي لاحترامها، هو الإنسان الغربي، والدليل هو ما لا يزال يمارس ضد السود في أمريكا.

سيكون من حقنا التنديد بالغرب وحكامه وسياساته وشعوبه، ما لم يتم تعديل مواقفه وسياساته تجاه شعوبنا وبلادنا، والميديا في هذا العصر لا تترك أمراً دون أن تفضحه، فكيف يتم السكوت على وجود خمسة ملايين يتيم في العراق نتيجة سياسات وحروب الغرب وتلاعبه بأقدار الحكام والشعوب، إنهم خمس أيتام العالم كما يذكر النبأ، والمثال العراقي يعاد انتاجه، وبأساليب متعددة في أكثر من موقع في بلادنا العربية.

الغربيون على استعداد لارتكاب كل الفظاعات والجرائم التي يمكن أن يحققوا منها مكاسب في البلاد المتخلفة التي يستثمرون في الهيمنة عليها وعلى ثرواتها. وهنا يحضرني المثال الذي أورده محمد حسنين هيكل في أحد كتبه، إذ في نهاية الحرب العالمية الثانية التي أبرزت هيمنة الولايات المتحدة على زعامة الغرب، كان وزير الخارجية الأمريكي يتجهز لحضور مؤتمر حول النفط، فتوجه بالسؤال إلى رئيسه عن أية كمية من النفط يجب أن يدافع لتحصل عليها أمريكا؟ وبعد أن ذرع الرئيس مكتبه عدة مرّات بالخطوات جيئة وذهاباً، وقف قبالة الوزير قائلاً بحدّة: لا أقل من مائة بالمائة يا عزيزي. هذه هي أمريكا، والغرب، لكن المشكلة في من لا يريد أن يفهم ويصدق.

لا نرى أمريكا تتدخل في بلادنا لإنهاء فتنة أو توقيف حرب، إنما تتدخل لزيادة الفتن وإشعال الحروب، طالما أنها تجني الفوائد والأرباح من جني الثروات وبيع أسلحة وفرض الوصاية، وهنا تظهر المفارقات بين كلام مثقفيها ومواقف إداراتها وسياسييها الذين هم الصورة الأصدق لأمريكا وما نلقاه منها.

نحن نتعلم من فكر الغرب وثقافته، نعجب بها ونسعى لامتثالها، لكن يجب أن نقف منها على حذر، أي ليس بالمطابقة بين فكر الغرب ونشاط الغرب وسياساته، فقد تكون هاتان على طرفي نقيض، وهذا ما يجب أن يبقى في البال. أي أن نأخذ بانتقائية، ما يفيدنا، علم الغرب وفكره الإنساني، مع رفض أكثر سياساته والتبعية له، ففي الغرب وتراثه الكثير من العنصرية والنظرة الدونية للآخرين وما لديهم من ثقافات، ربما كانت من أسس نهوض الغرب وتقدمه، ومنها ثقافتنا العربية (قديماً).

إن مبدأ رد الأذى عن وطننا وشعبنا، لا ينطوي على أي حقد تجاه الغرب، إنه موقف تتطلبه وطنيتنا كي نكون صادقين مع أوطاننا، وهذا واجب (فرض عين)، وليست إكرامية. وعندما نرى أن هذا الغرب أصبح عادلاً في مواقفه وسياساته تجاه بلادنا، فلا شيء يدعونا لمجافاته، فالمسألة أن تكون العلاقة بين الطرفين نديّة، وبذلك تكون عادلة لا ظلم فيها لأحد.

أن يتدفق الإرهابيون إلى بلادنا من كل بلاد العالم (من أشقاء وغيرهم)، ويكون الغرب مؤيداً بسياساته وامدادات الأسلحة، ورفض المواقف العادلة أو تهدئة الأمور، وأن تصل جيوشه (المكروهة) إلى بلادنا وتحتل أجزاء منها، وأن يكون مصدراً للكثير من الإرهابيين الذين ولدوا وتربوا في ديمقراطياته، وقد قام هؤلاء رجالاً ونساء بأقذر وأبشع الأدوار الوحشية تجاه شعبنا وبلادنا، وامتناعه عن رد من بقي منهم إلى حيث انطلقوا، وغير ذلك الكثير من القضايا التي يمكن الإشارة إليها في مواقف وسلوك الغرب، لا يعني عند ذكرها وتعدادها أننا نظلمه، لقد كنا في موقع المظلومين دائماً من قبله، وكل ما في بلادنا شاهد على ذلك، ولنسأل فلسطين وأهلها وجيرانها العرب وعلى رأسهم سورية وجولانها.

من يتربى في بلاد العلمانية والديمقراطية والتسامح وحق الاختلاف، وحيث الحرية السياسية والاجتماعية والقدرة على محاسبة السلطات، كما على محاسبة الأفراد على الارتكابات، عليه ألا ينسى أن هذه المبادئ يفترض أن تمنعه من إلحاق الأذى بالآخرين، وفي حال حصل يجب أن يحاسب على أفعاله، وهذه مبادئ غربية تؤكد عليها عدالتهم، ويفترض أن تحرسها قوانينهم ومنظماتهم، مثلما تحرسها الثقافة الغربية المتقدمة. فكيف نتثقف بثقافتهم للخروج من مآزقنا والانتساب إلى عالم الحداثة والتقدم، وهي في هذا المستوى من التحيز واللامبالاة بحقوق وكرامة الآخرين؟ الثقافة التي تساير الفساد وأذى الآخرين حين يكون لأصحابها اهتمام في ضرورة إبقاء هؤلاء الآخرين متأخرين، هي ثقافة لا تستحق الاحترام، ولا أن نسعى لاكتسابها، مع أنه من الضروري بقاء السعي الحثيث أن نبقى على تواصل مع ثقافات العالم والحوار معها والاكتساب منها ما يغني ثقافتنا ويساعدنا في الخروج من إعاقاتنا.

ثقافة الزنابير – الأنكلو ساكسون أباحت أكل لحوم البشر، وهم يعلّمون الناس طرائق تحضيرها، ومن كان لديه تلك الأعصاب الحديدية والاستعداد لمزيد من القرف والاشمئزاز والرفض لما تعاف النفس حتى قراءته، فليقرأ كتب منير الحمش، خاصة (الإبادات الثقافية) حول هذه المسائل ليتعرف على رؤية هؤلاء وآرائهم بغيرهم من الشعوب. بالتالي ما كان داء لا يصح أن يكون دواء، وإذا كان الغرب – وهو بالتأكيد- أحد أهم اسباب تخلفنا وصناعة قصورنا في العصر الحديث، فهو بالتالي لن يكون معراج نهضتنا وخروجنا من التخلف حين تدوم هيمنته.

العالم كله موضع لأطماع الغرب، يعبر عن بعض ذلك جون بركنز، الذي تم تأهيله كقرصان اقتصاد أمريكي، يعمل على إحكام الهيمنة على الشعوب وسرقة مقدراتها من خلال مشاريع تقوم بها الشركات الأمريكية بقروض من البنوك الأمريكية، ما يعني أن تعود الأرباح للشركات، وأن تبقى الدول تحت رحمة البنوك عاجزة عن تسديد ديونها إلى الأبد مع دوام الفقر فيها، وحين يستعصي الأمر تدبر المكائد كما جرى في اغتيال رؤساء في أمريكا اللاتينية بإسقاط طائراتهم، أو بالغزو العسكري كما يشرح القرصان الذي يقول إن ضميره قد صحا، شارحاً ما فعلوه بمشاركته في أندونيسيا، كولومبيا، فنزويلا، السعودية، العراق.. وغيرها. في كتابه ذي العنوان المعبر « الاغتيال الاقتصادي للأمم – اعترافات قرصان اقتصاد».

هناك من لا يخجل، مثلما هناك من لا يتعظ !

المثقف الكاتب يتميز عن المثقف غير الكاتب

•حسين مهدي أبو الوفا

أجل إن التثقيف العربي الأصل ليس من غايته أن يخرج فقط مثقفين ممتازين، قادرين على تحقيق أدمتهم ومواطنيتهم وكونيتهم الحقيقية، بل أن يخرج كتاباً مبدعين، قادرين على خلق ثقافتهم القومية الإنسانية العربية الأصيلة. وهي ثقافة ستمسي الغذاء الأصلي للأجيال العربية الصاعدة، كما ستمسي البواكير الأولى للتراث الثقافي العربي الجديد، تراث الانبعاث والنشور.

الإعداد الثوري:

إن الأهداف التثقيفية آنفة الذكر، وهي التهذيب الإنساني، والتأهل الحياتي، والتنوير الثقافي العربي الكوني، والإبداع الفكري، ليست سوى الوجه العمومي للتثقيف العربي الأمثل الذي لا يكتمل ويتم إلا بوجهه الخصوصي، وهو الإعداد الثوري. ذلك أن الغاية الجوهرية الأساس لهذا التثقيف هي بعث الإنسان العربي الحق وهو بعث لا يصير ويكون إلا من خلال الثورية العربية المشرقة الكبرى، هذه الثورية التي ينبغي أن تتجسد كاملة في المثقف العربي.

وهكذا فإذا كان هدف التثقيف التهذيبي هو أن يصوغ من المثقف العربي إنساناً تام الإنسانية، وكان هدف التثقيف التأهيلي هو أن يصوغ منه مواطناً رفيع المواطنية، وكان هدف التثقيف الحقيقي التنويري هو أن يصوغ منه مثقفاً ممتاز المعرفة. وكان هدف التثقيف الإبداعي هو أن يصوغ منه كاتباً أصيل الفكر، فإن هدف التثقيف الثوري هو أن يصوغ منه مجاهداً فذ النضال. الأمر الذي يعني أن هدف التثقيف الثوري هو التتويج الخاص للتثقيف العربي العام.

ويتمثل الإعداد الثوري للتثقيف العربي الأمثل في تزويد المثقف العربي بخلاصة مكثفة ومركزة، ودقيقة وعميقة وكلية وشاملة، عن الفكر الثوري الحق، العربي منه والعالمي، والقديم والحديث، على السواء. وذلك ضمن برنامج تثقيفي خاص، سداته الإيمان المطلق واليقين المحض والثقة الخالصة بالثورية، ولحمته التشبع التام بها.

مقولات ومنطلقات، ومبادئ وقيماً، وقواعد وتعاليم، وأساليب ووسائل، ومسارات وأطواراً، وأحداثاً وسيراً، بحيث تغدو هذه الثورية البوتقة الكبرى التي تنصهر فيها ذاتية هذا المثقف الحقيقي العربي انصهارها التهذيبي التأهيلي التنويري الإبداعي الصرف.

لقد فات الإنسان العربي الحديث أن التثقيف الذاتي الداخلي منه والخارجي أو الأكبر والأصغر، هو مقوم جوهري أعظم من مقومات ذاته وحياته ووجوده، وأنه لا غنى له عنه في بلوغه مبلغ الكمالين معاً فكان أن أمسى رهيف عبودية كلية شاملة، وبالتالي رهينة عطالة عدمية سالبة وهو إذا يتثقف الآن بثقافة ثورية حقه، فإنما ليطلق ثوريته في مكمنها العميق، ومن ثم ليدفع بها إيجابية خلاقة نحو أقصى الأمداد والأماد في ذاته وحياته ووجوده. إن تحقيق المثقف العربي لغائيته الجوهرية العامة، بأهدافها الاستثنائية الخمسة الكبرى، التهذيب الإنساني، والتأهيل الحياتي، والتنوير الكوني، والإبداع الفكري، والإعداد الثوري، يعني تحقيقه المنشود لبعثه كإنسان عربي حق.

• كاتب وشاعر عراقي
مقيم في سورية
معرف بهوية اتحاد الصحفيين السوريين المرقمة 2998

•د.حسن حميد

آسيا جبار (١٩٣٦-٢٠١٥) -٢-

تم الجزء الثاني من الرباعية (ظلّ السلطانة) وفيه تركيز على أن المرأة الجزائرية التي تلعب دور (الجدة) أو دور (الأم) في الأسرة الجزائرية تساند الثقافة الذكورية على إبقاء المرأة الجزائرية في أحياز المظلومية والحرمان والاضطهاد والتغييب، وتبدو ممارسات النساء الجزائريات (الأمهات والجدات) أكثر قسوة من ممارسات الذكور، وإن لم تكن كذلك فهي ممارسات تسوغ اضطهاد الرجل للمرأة وحرمانها من التمتع بحقوقها كفرد اجتماعي، والجزء الثالث من الرواية (الحب والفانتازيا) يصور المشاعر الأنثوية التي تشبه الضوء، فهي نفوذ ولا شيء يقف في وجهها، ولكن هذه المشاعر تظل في حيز الخيال، وظهورها العلني أشبه بالقفزة في عالم المجهول، أما الجزء الرابع (بعيداً عن المدينة) فيقف على عالم النساء، والزواج، والعلاقات العاطفية ما بين المرأة والرجل في التراث العربي.

لا تخلو رباعية آسيا جبار الروائية من انتقادات قاسية، ومن دعوات التمرد، ومن أفكار مغلوطة حفلت بها كتابات بعض المستشرقين الغربيين حول التراث العربي، ومن بعض التقولات الهادفة إلى الحط من التفكير العربي، والسلوكيات العربية أيضاً، وهذا ليس بمستهجن لأن الثقافة التي تلقتها آسيا جبار هي ثقافة فرنسية تنظر إلى التراث والتاريخ العربيين بمنظار فرنسي.

كتبت آسيا جبار رواية مشتركة مع زوجها عنوانها (أحمر لون الفجر) فيها نظرة متفائلة لعصر جزائري جديد خال من التطرف والانفلاق والعسف، كما كتبت روايتين تتحدثان عن الحرب الأهلية الجزائرية أولاهما (الجزائر البيضاء) وفيها مستهديات مروعة عن ممارسات التوحش القائمة على قطع الرؤوس، وحرق البيوت، والمدارس، والمشافي، وتهجير الأهالي من قراهم، ومطاردة المثقفين والفنانين والقصاص منهم تحت دعاوى دينية، وثاني الروايتين رواية (وهران لغة ميتة) التي تتحدث عن سطوة القوة التي تحكمت بالمدينة (وهران) فكمت الأفواه، بعدما حجرت على الحريات، وحالت بين الناس وحقوقهم السياسية والاجتماعية والثقافية.

وبعيداً عن توجهها الروائي الجوّاب في عوالم المرأة الجزائرية كتبت آسيا جبار روايتين بعيدتين عن هذا العالم، الأولى عنوانها (ليالي ستراسبورغ) وقد كتبتها عام 1997، وتدور حول قصة حب تعيشها (ثلجة) الجزائرية مع صديقها الفرنسي (فرانسوا) الأرمل الذي يتقدمها في السن، فتعيش معه عشرة أيام وتسع ليال في هيام وغرام، لكن الرواية ليست هذا الغرام فحسب، وإنما هي رواية تاريخية في جانب من جوانبها لأنها تقف عند حصار مدينة (ستراسبورغ) الفرنسية أيام الحرب الألمانية على فرنسا سنة 1870، ومعاناة أهلها، والظروف الصعبة التي عاشها الناس، ومقارنتها بظروف الحرب التي تعيشها المدن والقرى الجزائرية في أتون الحرب الأهلية، وبذلك يبدو الحب وكأنه المضاد الحيوي للخلاص من شرور الحرب وويلاتها، الرواية الثانية عنوانها (اختفاء اللغة الفرنسية) وهي تتحدث عن ويلات حرب أخرى شُنت على الجزائريين وهي الحرب الثقافية، حين فرضت اللغة الفرنسية على أبناء شعبها الجزائري، والتاريخ الفرنسي، والعادات والتقاليد الفرنسية، وكذلك كل ما يتعلق بالفنون الفرنسية، وسحق اللغة العربية، والتراث والتاريخ والفن الجزائري، هذه الرواية هجاء مُر للغة الفرنسية، والاحتلال الفرنسي، وأن معاني الاستقلال الجزائري تتجلى بإختفاء اللغة الفرنسية.

درّست آسيا جبار الأدب الفرانكفوني، ومنه الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، في جامعة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، وحظيت هناك بصداقات واسعة مع الأدباء والفنانين ومديري دور النشر الأمريكان، ونقلت بعض رواياتها إلى اللغة الإنكليزية، ونالت بعضاً من التقريظ الأمريكي.

نالت آسيا جبار جوائز أدبية عدة، من أبرزها جائزة ألمانية سلّمت لها في أثناء إقامة معرض فرانكفورت للكتاب سنة 2002، ورشحت لنيل جائزة نوبل منذ عام 2005، ودخلت الأكاديمية الفرنسية التي تسمّى (مؤسسة الخالدين) في العام نفسه (2005)، وكانت قد حظيت بحفلات تكريم تقديراً لتجربتها الأدبية في إيطاليا، وبلجيكا، والولايات المتحدة الأمريكية.

ولا بد من ذكر اهتمامات آسيا جبار بالفنون المسرحية والسينمائية والموسيقية، فقد كتبت العديد من حوارات الأفلام الوثائقية حول التاريخ والتراث والفن الجزائري، مثلما كتبت قصص وحوارات أفلام أخرى اهتمت بما تعاني منه المرأة الجزائرية مثل فيلمها المعروف (نساء جبل شبوة).

ومع أن تجربة آسيا جبار الأدبية ظلت معروفة ومنعزلة في فرنسا والجزائر (على الرغم من أن رواياتها ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة) إلا أنها نفذت كالضوء إلى العديد من المشاهد الأدبية العالمية، ومنها العربية كواحدة من أهم الأصوات الروائية الجزائرية والعربية في آن، بل والعالمية أيضاً، ولا أدل على ذلك من أنها رشحت لنيل جائزة نوبل للآداب مرات عدة.

توفيت آسيا جبار في 7 شباط 2015، ودفنت في بلدتها (شرشال) وسؤالها المُر يتعالى رديداً في الآفاق: "من الذي دفع ثمن ثورة المليون شهيد في الجزائر"؟!

Hasanhamid55@yahoo.com

قراءة في:
«على دروب الحنين» للكاتبة صفا حسين

• غسان كامل ونوس

يا للحنين الذي يُجوهر انتماء الفرع إلى أصله، وإن توالت فصول، ويوثّق علائق الكائن بجذوره سنين وسنين، ويعيد الطائر إلى عشّه، بعد فضاء وتحليق!

لكن.. هل يمكن صرف النظر عمّا كان من تشريق وتغريب، وطموح ورغبة وترغيب؟! وما كان من ظروف وأقدار، وإرادة وعزيمة وقرار؟! وما كان من مواقف ومبادرات ومشاعر وأحاسيس، ومن نجاحات ومكاسب، وخيبات وأعراض وأمراض...؟!

ولو صرفنا النظر عن ذلك وتشابكاته وتحوّلاته، هل كان للرواية «على دروب الحنين» من داعٍ؟!

القضيّة تتعلّق بكائن إنسانيّ أو كائنين أو كائنات؛ بمسارات مرسومة، أو تُرسم أمامنا، ونمضي فيها كالمستلبين، أو نرسمها ونمضي، فيكون للقدر رأيٌ آخر!

إنّها مسألة حياة، يجب أن تعاش، ويفترض، ويؤمَلُ أن تعاش؛ لبشرٍ من بيئة واحدة، تعلموا في مدرسة واحدة، وسلكوا الدرب إليها معاً، وعاينوا الصخرة المميّزة، ووضعوا حجارتهم عليها إعلاماً وتسلية باتّفاق وانسجام، وعادوا معاً من المدرسة؛ حيث الأساتذة أنفسهم؛ ولا سيّما أستاذ اللغة العربيّة الجادّ، الذي تجرّأت زينب وناقشته في موضوع أهمّيّة إلقاء الشعر من قبل كاتبه، على غير عادتها؛ فهي غير متفوّقة، وإن كانت تزيّن أواخر الدروس في دفترها، من دون اهتمام كبير بفحواها؛ كحسن المجتهد والطموح، الذي يرسل حجارته أبعد من الجميع، على الرغم من قصر قامته، وقصر نظره، وكبر حجم رأسه، وتفوّق في الشهادة الثانويّة، فيما حصلت هي على آخر درجات النجاح؛ فكانت آخر من زارهم أبو حياة، المسافر المكوك إلى لبنان، واقترح عليها التسجيل في جامعة بيروت العربيّة، ووافقت بلا تفكير وبلا رغبة؛ لأنّ ذلك سيجعلها تترك جدّتها الوحيدة، التي تعيش في كنفها بلا أهل.

سافرت، وتعرّفت إلى بيئة أخرى بعد الحدود، التي تفصل شعبين شقيقين.. تختلف التفاصيل والموجودات في جبل لبنان؛ فهناك قصر أبي جوني، الذي يشرف عليه أبو حياة، وسيرين ابنة أبي جوني، التي تحتلّ مكانها مؤقّتاً، ثمّ ترافقها، بعد تخرّجها في الجامعة، إلى البرازيل من أجل الأولاد.. لكنّ ما كان ينتظرها هناك أكثر من رعايتهم، وباستدراج اليهوديّة الجوبريّة، وبمساعدة شَعرها المميّز، توصّلت إلى أن تكون فتاة دعاية وإعلان لشامبو، وأن تكون لها أسهم في الشركة، التي تعلن لها، فتمتلكها، ثمّ... المرض/العقاب!

فيما حسن المتفوّق، كان يمضي في طريقه المهّد لبعثة دراسيّة في روسيا؛ طبيباً، يبحث في الأجساد، التي يتفحّص أعضاءها جسّاً ومبضعاً؛ بما فيها القلب، عن الروح، التي راودته في غير مكان وظرف وخيال..

وفي الوقت، الذي كان زملاؤه يعيشون المغامرات؛ ولا سيّما محمد الادلبي، ويفتي ما يناسب حاله؛ تحليلاً لممارسات، وتكفيراً عن ذنوب، ارتكبت، وسترتكب، تزوّج حسن ممّن وجد فيها تلك الروح متجسّدة؛ امرأة بيضاء ذات شعر أسود، تعزف الموسيقا، وأنجب توءماً ذكراً بعد عناء ونذور، وبنتاً أيضاً، وكانت أحواله تسير بيسر وتقدّم، حتّى تبدّلت الظروف في روسيا في العام (1989م)؛ حيث تفكّك الاتّحاد السوفييتي، وانتهى الحكم الشيوعيّ، وساءت الأحوال، فغادر حسن إلى مكّة مع العائلة لزيارة الديار المقدّسة، فتعرّف هناك إلى أبي عبد العزيز وزوجته الروسيّة، التي أسلمت على يديه، ويتعرّض صديقه هذا إلى وعكة، ينقذه منها حسن، فيؤمّن له فرصة عمل مهمّة في مستشفى في الرياض؛ ليستقرّ فيها، حتّى تتدخّل الظروف مرّة أخرى، فيموت مريض في الليلة التي كان من المفترض أن يناوب فيها حسن، الذي يحضر زفاف ابن صديقه، فيعاقَب، ويُنقل إلى الجنوب؛ ممنوعاً من المغادرة سنوات عشراً، يقضي منها مدّة، قبل أن ينقذه الشيخ بكري/محمد الادلبي، الطبيب الروسيّ الذي صار رجل دين مقدّراً، ويذهب به ومعه إلى أصدقائهما في روسيا، ثمّ إلى تركيا فطرابلس لبنان بحراً، ثمّ إلى حمص؛ لغاية في نفس يعقوب! فيفترقان ويغادر حسن إلى قريته؛ حيث زوجته وأولاده، يعيشون مع أهله، بعد لعبة قدريّة، أودت بالجدّة الروسيّة، وأصابتهم بكسور ورضوض.. فيلتقي الزائرة الغريبة المريضة، التي اُكتشف مرضها في البرازيل، ذات عرض تلفزيونيّ جريء على الهواء مباشرة للكشف المبكّر عن سرطان الثدي، وتعرّضت للابتزاز من شمعة اليهوديّ العنصريّ شقيق زميلتها، وآلمتها الشفقة التي انهالت عليها من المشاهدين.. وكتبت قصّتها في كتاب بيع الكثير من نسخه، من دون أن تستفيد منها؛ استمراراً في الابتزاز، فتقرّر زينب العودة إلى قريتها، بعد تحوّلات في الهويّة من سوريّة إلى لبنانيّة إلى برازيليّة، ومن مسلمة إلى مسيحيّة، مصاحبة ليهوديّة؛ بحثاً عن هويّتها السوريّة، التي لا تحتاج إلا إليها..

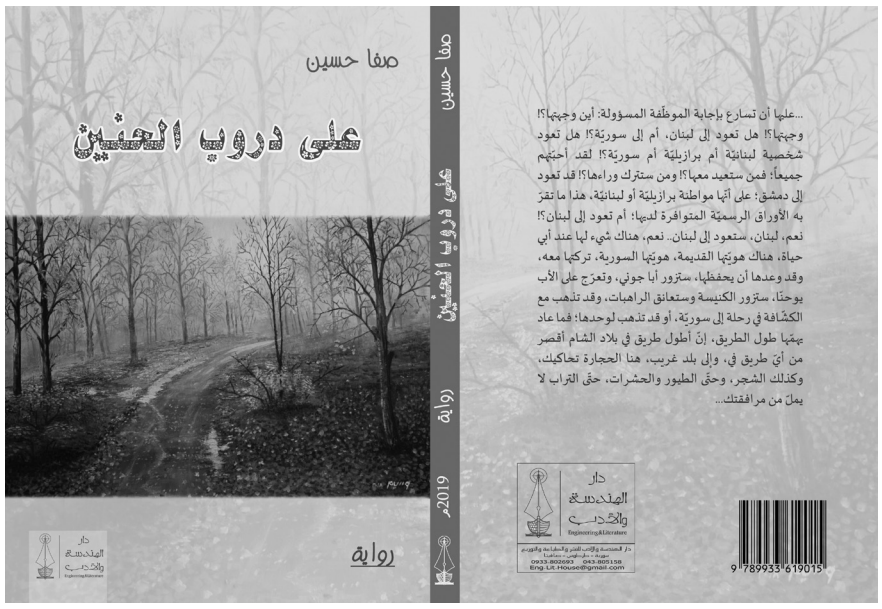

وتعرّج إلى الصخرة والسنديانة والنمل، وتضع قصفة سنديان في ياقتها؛ كما كانت تفعل ذات مدرسة، وتمضي إلى دار جدّتها، التي يفصلها عنها ركام، يعمل على إزالته، وإزالة أشياء أخرى ربّما، سائق آليّة محموم، يوسعها ضرباً، حين تحاول عبور الركام.. فتغيب عن الوعي، حتّى تحاول إنقاذها أصابع جدّتها، التي تضفر شعرها من جديد، وأصابع حسن على وجهها، أمام عينيها، مع موسيقا زوجته العذبة.

في البناء الفنّي

تبدو الرواية كنهر جار بانسيابيّة وهدوء، يتعرّج، ويتغازر أحياناً.. لكنّه، حتّى في جريانه الهادئ، ليس شحيحاً ولا سطحيّاً؛ بل إنّ له روافد قيميّة فكريّة وغيبيّة، تشكّل دوّارات أو دوّامات، تحرّك الكامن، وتغيّر إيقاعه.. وتغنيه، وهذه الإضافات أو الالتفاتات أو الاستطرادات، تعبّر عن وعي الكاتبة، وثقافتها..

في البداية، كان التمهيد البيئيّ مهمّاً- وإن طال قليلاً- حيث يشكّل الخلفيّة، التي انطلقت منها الشخصيّتان المتحرّكتان الرئيستان: القرية، المدرسة، الجدّة، الخالة، بيت أبي حسن.. وهي واحة الحنين، أو القوّة الجاذبة الرئيسيّة لهما.

وعلى الرغم من تعدّد المسارات وتشعّبها، وتكاثر الشخصيّات وتحوّلاتها، تحسّ أحيانا أنّ الكاتبة قابضة على رواياتها؛ موضوعاً وتفرّعات، تستذكر أقوالاً وأفعالاً بسيطة، ما يشكّل روابط (إعادة ربط أو ارتباط) بالمكان، القرية؛ بالحياة.. مثلاً: استخدامها لقصفة السنديان في ياقتها مع الصخرة والحجارة والنمل في آخر النصّ.

لقد أتقنت الروائيّة إعطاء الشخصيّات والأمكنة حقّها من التفاصيل، التي تجعلها مقنعة (أسماء الأمكنة في ريودي جانيرو- التعابير المرافقة لحديث الشيخ بكري: إن شاء الله...- الزوجة الرابعة، زواج الصغيرات، مصاحف صغيرة كتذكار في حفل الزواج.. في البيئة المتديّنة...)

واعتمدت الكاتبة في روايتها على السرد المباشر، واللغة العاديّة المشرقة أحياناً، والأداء الجادّ الرصين، مع قليل من الوصف والحوار، والتقسيم إلى فصول (أحد عشر فصلاً).

لكنّ الأمر يتعلّق بما ينتج من حركات حياكة أو صياغة مألوفة، وأدوات معروفة، وكلمات وعبارات لا تسربلها الزينة، ولا تبهرجها الألوان... فتبثّ، حيناً بعد حين، نغمات إنسانيّة، وأفكاراً مهمّة، ومعْرفة بهذا المستوى أو ذاك، وتنثر قيماً تستحقّ التقدير، وتبدو كأنّها مفرزات نافعة أو ثمرات مفيدة، بعد خطوات ودروب، وبعد تجارب واختبارات مقصودة أو عفويّة.. معبّرة عن بعد وعمق وتأمّل.

وفي الوقت الذي يتباطأ فيه السرد أحياناً وطويلاً، مع استذكار التفاصيل الكثيفة، ما يلزم وما لا يلزم، وصياغة الأفكار؛ فيبدو الإيقاع بطيئاً، نجد، في مواقع أخرى، اختصاراً للمشاهد والأزمنة، وعبوراً سريعاً لأحياز؛ وصولاً إلى محطّات وخلاصات تريدها؛ لأهمّيّتها في سياق الرواية والواقع والحياة؛ بصرف النظر عن تحليل أسباب ما كان التوقّف طويلاً عنده. وهو ما يمكن استنتاجه أو تخمينه أو تقديره.. ويختلف الأمر في سياق آخر، حين الاسترسال في تداعيات، تزخر بالأسئلة والتساؤلات والمترادفات والمسمّيات المتعلّقة بالموضوع المذكور؛ إغناء للفكرة، وإضاءة لموقف أو حال أو شعور؛ فالإيقاع متنوّع، وهو ما يمنح الرواية حيويّة وغنى.

(هي اللحظة التي تجاوز العمر بسنين، إذا تعلّق الأمر بمحتلّي القلب، هي اللحظة التي تصير بألف لون، أذا دققت على وجه من تحبّ، هي اللحظة التي أكونها أنت حين أنسى أنّي أنا؛ هي اللحظة، التي أنهض بها من بين ذراعيك، فأسير عصفوراً مقصوص الجناحين.) ص(103)

(أمّا زواج حسن ففي مؤسّسة لا رجال دين فيها؛ بل موظّفون.. والمطلوب أن يشعلا شمعة على ضريح الجندي المجهول.. أعلى مرتة من سائر البشر؛ وخاصّة رجال الدين.. رجال الدين لن يعيدوا بك إلى السماء، ولا واسطة لهم مع الله؛ بل أنت من ترفع نفسك إلى مرتبة تليق بأهل السماء..) ص(104)

(إنّ الموسيقا برأيها هي الدين والحبّ والسلام والسعادة، هي الطريق التي تحملها إلى السماء، ومن هناك تطوف عبر الأكوان،

فنلتقي الرسل والأنبياء الصالحين؛ ألا يحبّ الصالحون الموسيقا؟!) ص(117)

وتعتمد الكاتبة الجَدّة؛ جدّة زينب (وهناك جدّة أخرى لزوجة حسن الروسيّة، لها دور أيضاً) لازمة، تستعاد كلّ حين في ذاكرتها؛ تخاطبها، وتعتذر إليها، وتتوب إليها.. وهي متّكأ مفيد ورابط مناسب؛ (جدّتي الحبيبة؛ بل أمّي الغالية؛ بل كلّ الناس؛ كل العالم؛ كلّ الكون.) ص(136)؟

وعلى الرغم من تعدّد الوقائع، وتأثيرها على مسار الأحداث، فإنّ الإثارة الموجودة هنا وهناك، ليست في صلب الاهتمام؛ بل إنّ الغاية تسوّغ الصياغة والخطو والممارسة..

ونجد الكاتبة لا تهتمّ كثيراً بالحدث في حدّ ذاته، على الرغم من أهمّيّته وضخامته، بقدر اهتمامها بملامحه، وتداعياته وآثاره، والانفعالات التي يسبّبها: الحرب الأهليّة في لبنان- تفكّك الاتّحاد السوفييتي- التحوّلات المهمّة في سوريّة- الصراع العربيّ الاسرائيليّ...

ويمكن القول إنّها استطاعت، على الرغم من الطول الأقلّ من المتوسّط للرواية، أن تلامس مختلف القضايا السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، التي نعيشها منذ الثمانينيّات من القرن الماضي؛ وصولاً إلى ما قبل الأحداث الأخيرة، وما كان يحضّر لسوريّة؛ بإشارة ذكيّة من خلال ذهاب الشيخ بكري إلى حمص بعد تطرّفه، وقوله كذلك: (هل قلت سوريّة؟! هل هي سوريّة؟! أهي من أهل الساحل؟! إنّي أعلم ما لا تعلم يا صديقي.)

وقد شارك في صوغ الرواية وحيويّتها تناولُ مختلف الثنائيّات المعروفة: الدين والعلم- الغربة والبقاء في المكان- الطموح والقدر- الحياة والموت- العين والقلب... إضافة إلى حوار الأديان (الثلاثة)، وأزمة الهويّة: سوريّة لبنانيّة برازيليّة.

وهناك مفارقات شكّلت حوافز أو حاثّات للقارئ:

زينب- مس زينا (تنّورة قصيرة، وقميص مفتوح الياقة مع صليب) ص77؛ بين فتاة القرية وفتاة الدعاية بعد المحسّنات الشكليّة والنفسيّة.

على الشاطئ لا أحد يضايق أحداً ولو بنظرة؛ إنّها طقوس، إنّهم أناس بكامل الصفات الإنسانيّة- في البيت، الباب الرئيسيّ مكهرب، وسننام على الأرض؛ خوفاً من الرصاص الطائش أو القنص.

من المفارقات أيضاً:

أحبّت زينب الشعر، ولم تكتبه؛ أحبّت جدّتها، وتركتها وحيدة؛ خافت من اليهوديّة، وقبلت فرصة العمل، التي أمّنتها لها؛ في أثناء الكشف الدعائيّ عن سرطان الثدي، يُكتشف مرضها على الهواء مباشرة؛ الصراع بين الفتاتين: التي كانت، والتي صارت.. هل هو العقاب؟! ص(141).

وهناك مقاربات أيضاً: جدّة زينب، وجدّة زوجة حسن؛ صوت مغنّية الأوبرا وصوت حسن إلى الوادي؛ وحالها وزوج خالتها وخالتها...

وهناك مقاربة لفظاً ومفارقة فحوى في آن في آخر الرواية.. نفورها من الشمع؛ لأنّه يذكّرها بشمعة اليهودي المتطرّف.. ومقاربة انطلاقاً ونتيجة، ومفارقة مساراً وأفكاراً وأقداراً؛ زينب وحسن.

من الأفكار المهمّة الواردة في الرواية:

لم يعانقني إلّا الفراغ؛ أتراني أرغب بعناقه؟! لماذا نرغب بعناق الفراغ؟! أترانا نستطيع تشكيله بصورة من نحبّ؟! أهو طيّع لنا أم شديد العناد؟! ص(14).

لقد اعتدنا دائماً؛ نحن أهل الريف، التكيّف مع عوامل الطبيعة؛ بل إنّنا جزء من هذه العوامل.. الشمس، الريح، المطر... ص(22)

اللعب والمرح قد ينضويان على كثير من الألم ص(28)

أحياناً كثيرة، من تخاف منه يكون هو منقذك! ص(80)

هل الشهادة فنّ؟! وهل الفنّ شهادة؟! ص(92)

كلّ أشكال الوحدة قاسية، حتّى الوحدة التي تصيب الكفّ؛ برغم عدد أصابعها العشرة. ص(94)

إنّ الموسيقا برأيها هي الدين والحبّ والسلام والسعادة، هي الطريق التي تحملها إلى السماء، ومن هناك تطوف عبر الأكوان، فنلتقي الرسل والأنبياء الصالحين؛ ألا يحبّ الصالحون الموسيقا؟! ص(117)

قد يتسلّل اللصّ على هيئة موّف، وقد يكون اللصّ هو المال. ص(130).

كم يخفّف الزمن من عبء الذكريات علينا! وماذا لو تلاشت الذكريات؟! سنموت قهراً تحت وطأة الزمن؟! ص(141)

أرسلت رسالة شفهيّة إلى جدّتها!! فالرسائل الشفهيّة تتغيّر حسب حاملها، وحسب الإحساس الذي تحمله الكلمة؛ كما قال أستاذها! ص(141)

حلم جديد يبنى على صداقة قديمة، ما أجمل هذا البناء! ص(144)

والكلام الجبان قد يموت أيضاً، يخشى مغادرة أفواهنا.. الكلام الجبان قد يموت أيضاً.. أيّها الكلام ألا تدرك أنّك تستطيع قتلنا بصمت تام؟! ص(153)

إنّ سوء الحظّ يتحيّن الفرصة المناسبة أيضاً للانقضاض على فريسته، ولا يختار إلّا الفريسة الأفضل الألذّ. ص(162)

لا تحتاج العواطف إلى ترجمة؛ إنّها لا تنتمي إلى أيّة لغة. ص(170)

إنّ أطول طريق في بلاد الشام أقصر من أيّ طريق في وإلى بلد غريب.. هنا الحجارة تحاكيك، وكذلك الشجر، وحتّى الطيور والحشرات، حتّى التراب لا يملّ من مرافقتك. ص(188).

الخوف خروج من لحظة حياة، مع استحالة العودة إليها، مهما اعتراك الندم. ص(189)

الحياة هي أنت، بمقدار ما تكون أنت.

من المجتهد المحبّ أكثر لعمله؛ العين أم القلب؟! ص(190)

لكن ما تحتاج إليه هنا هويّتها السوريّة فقط؛ هذا ما جاءت من أجله. ص(183)

•••

• "على دروب الحنين": رواية صادرة عن دار الهندسة والأدب للنشر والطباعة والتوزيع- صافيتا- (2019م)

•• صفا حسين: كاتبة سوريّة من طرطوس؛ صدر لها: ثمار الهجير- مجموعة قصصيّة- دار حوران- (2007م)

ريمي تحب وسيم- قصص- دار الهندسة والأدب- (2018م)

علي كنعان.. شاعر وإنسان

•إبراهيم عباس ياسين

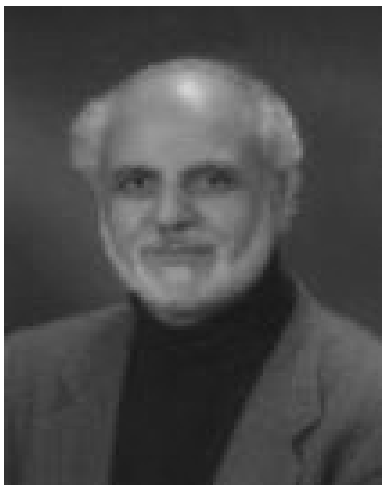

"الغالي إبراهيم: أما من فرصة للقاء بدمشق؟ زميلك الختيار، وصديقك المعتّق، لم يبق في كيانه إلا بيادر شوق للأحبة في هذا الكوكب الجميل، رغم كوارثه وأوجاعه، مع خالص المحبة والتقدير."

كانت هذه الكلمات القليلة، الموجزة، بالغة التأثير في النفس، قد وردتني كرسالة نصيّة بتاريخ 26 /سبتمر/ صيف العام المنصرم - 2019 - من الصديق والأديب الشاعر علي كنعان أثناء وجوده في دمشق، والتي اعتاد زيارتها كل صيف، لبضعة أشهر، قبل أن يعود بعدها إلى (دبي) في دولة الإمارات التي يقيم فيها منذ عشرين عاماً.

وعلى الرغم من اشتياقي البالغ للقائه، فقد حالت بعض الظروف الخاصة دون لقائي به بادئ الأمر، إلى أن جمعتني به المصادفة وحدها في اتحاد الكتاب بدمشق.. صحيح أن اللقاء كان سريعاً وعابراً، لكنه كان أيضاً دافئاً وحميماً، ومفعماً بالاشتياق والشغف، وبالمحبة الخالصة.

ها هو ذا الشاعر علي كنعان كما عرفته منذ أن التقيته لأول مرة بدمشق منذ زمن لم يعد قريباً.. شاعر ناحل كخيوط الضوء في عباءة الشتاء، يطفح بالطيب وبالبراءة والصدق، لا تفارق وجهه ابتسامة طفولية تشعر معها وكأن كنعان يحمل في جوانحه قلباً لا ينبض بغير الصدق والمحبة الغامرة.

وعلى الرغم من أعباء السنوات والهجرات المتلاحقة فهو لم يسأم تكاليف الحياة، لابل أنه كما يؤكد لنا "على أن الوجه السوداوي الكالح من الحياة، كالوجه المعتم من القمر، لا يعنيني ولا يشغل اهتمامي"، وما زال شاعرنا إلى اليوم قادراً على العطاء والإبداع في أبهى تجلياته وأنقى صوره.. وهو ما يلحظه القارئ لكتابه (الحنظل والرحيق) الصادر مؤخّراً عن دار التكوين في دمشق، 2019، ويحمل الكتاب رؤى الشاعر كنعان وهواجسه في الشعر والحياة.." وحديث الذكريات هنا - في هذا الكتاب - ليس بوحاً خاصاً وحسب، ولا يكتفي صاحبه بالتعبير عن سيرة ذاتية معزولة، إنما هو أقرب ما يكون إلى منتدى جيل نطّلع من خلاله على لمحات متناثرة من تيار واسع في حركة الشعر الحديث، لم ينفصل عن روائع التراث، ولم ينغلق في قوالبه وأشكاله، بل احتفظ بصوته الخاص ملتحماً بهموم عصره ومآسي أمته وتطلعات جماهيرها."

ولست هنا في معرض الحديث عن هذا الكتاب الذي يستحق وقفة خاصة، هادئة ومتأنية، لما ينطوي عليه من قيمة أدبية واجتماعية وأخلاقية أيضاً، وعلى الأخص أن صاحبه من "جيل وُلد في مخاض ثورة فلسطين الكبرى، إثر استشهاد الشيخ عز الدين القسام، وعانى مرارة النكبة وهو في مطلع الصبا، ثم عاش أفراح الوحدة المغدورة ليكتوي بنيران الهزيمة في حزيران.."

فالشاعر كنعان - أمدّ الله عمره - من مواليد 1936 - قرية الهزة - محافظة حمص - درس الأدب الإنكليزي في جامعة دمشق، وعمل في الصحافة الثقافية في سورية مشرفاً ومحرراً ما يزيد عن عشرين عاماً.. وأمضى ثلاث سنوات مدرساً للأدب العربي في جامعة طوكيو في اليابان، وعشرين عاماً محرراً ومترجماً في دارة السويدي الثقافية في أبو ظبي، وهو عضو مؤسس في اتحاد الكتاب العرب بدمشق منذ العام 1968.

صدرت أولى مجموعاته الشعرية (درب الواحة) عن وزارة الثقافة بدمشق في العام 1960، وتوالت بعدها إصداراته الشعرية التي جمعها في مجلدين بعنوان (الأعمال الشعرية) في العام 2010، إضافة إلى مجموعته (غيوم الخشخاش) الصادرة في العام 2016، وله تحت الطبع مجموعة شعرية بعنوان (أقمار لا تغيب)، كما أن له عدة ترجمات كان آخرها (فن الحب وقصائد أخرى) للشاعر الروماني أوفيد.

ومن المؤسف أن هذا الأديب والشاعر الكبير لم يأخذ حتى اليوم حقه من الحفاوة والتكريم اللائقين به، وإذا كان النقد الأدبي بدوره لم يتوقف كثيراً على ما قدمه شاعرنا من نتاجات أدبية وإبداعية كثيرة، وجديرة بالدراسة والبحث وبالمتابعة والاهتمام، فإن الزمن، فيما أعتقد، كفيل بإنصاف هذا الشاعر المبدع، لأن الزمن في نهاية المطاف هو الناقد الأكثر موضوعية، بوجه عام، والأكثر أخلاقية أيضاً.

أين !

•علي معروف

من ثراه الوطن الغالي يهون..
ومن الأرض يد الذل تلاقي
آخر الصيد بأشلاء الضحية..
كلما امتدت يد الزاحف واقتادت مع الزحف الهوان،
كلما لان القطيع المتكي المحروس من كل لصوص الأرض الخلاء..
فإذا اشتد أزير القاذفات العبثية.. بات يشتد زئير المكر واشتد أوار النار في أيدي الذي يوقدها من فوق ومن تحت التراب المرتجى، وهما خيالياً أتانا من حنين الجاهليه.
ها هنا نحن ولكنا فقدنا سمة القدوة في ساحاتنا القفر المدماة الظميه،
صدئ القيد، استبدت حلقات القيد في أيدي الأماني والمنى بحر ولكن شراع الفلك لا يبصر أبواب القضية..!
ها هنا نحن ولكنا على منتصف الصحراء لا شيء،
سراب يرتجى وهو على شاطئ ماء،
ها هنا نحن ولكنا جماعات، مواش رعوية،
ها هو الشاطئ يستجدي رجالاً بأكف وقلوب هاشمية..
ليس من فرق ولكن تلكم الأمنية الكبرى يود المجد أن تبقى، وإن طال زمان وتمادى، وعربية..
ها هنا نحن ولكن أين منا بعض فتيان نزار اليعربية؟!
يعرف السكران أبواباً ولكن ليس يدري أين ضاعت من أياديه الهوية
كلما قلنا وصلناها، ضللنا مدخلاً نعبره حتى تلاقي المسلك الرامي إلى الباب الذي نبلغ منه عتبة الباب الكبير الداخليه..
أي بيت هو بيت إنما ليس بباب تلتقي فيه بقايانا على باقي هداه الأزلية..
نحن مَن؟ والنار لا تطفأ إلا بدماء بالغات الطهر حمراء زكية!؟
يا منارات أرشدينا، نحن طلاب قضيه
أي ليل في حنايا الصبح في أردانه فجر قريب قد تلاقيه بأضواءٍ بهيه.. يا ربوع الشام يا أوراس، يا نيل ويا نجد تردون على من دنّس الأرض وأدماها التحية؟
إن نكن نملك حلماً، لسنا في محنتنا نملك حتى ما توخته الوصية، من جدود تركوا بين حنايا نصوصاً وطلولاً أبدية قد قبعنا حولها نحرس ما كان وفي كل المعايير حطاماً أكلته السنة الأولى من العمر وخلفنا عظيم الشأن للموتى لننا منه بقايا الذكريات.
هو شيء آخر كان ومهما غصنا في أعماقه لن نلتقي المجدَ ولا سلمه للمجد ولا شيئاً سوى تلك البقايا النائمات الضائعات الميتات.
لم أجد شعباً ولا جنساً من الأبقار والأغنام والطير ولا الوحش ولا حتى الأفاعي كلما فاخرت الدنيا بما انحطت تنادي:
يا بقايا البقر المذبوح والأغنام في المرعى وأسراب بقايا الوحش والأطيار والأفعى التي ما برحت تنفث في كل لهيب الأرض سمّاً راعفاً سمّاً لتدري. كيفما داهمها الشر التقته دون خوفٍ من رؤى تاريخها الظمآن حتى للتحية.

وطني

•محمد جميل حافظ

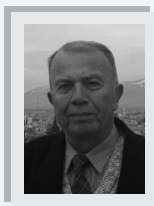

وطني أحبك.. واحداً وموحّداً
وأحب صوتك شادياً ومغردا
وأرى دماءك.. كالأزاهر أورقت
وأرى الشهيد على ترابك سيدا
وأرى محمد.. كالمسيح بديره
وأرى المسيح.. على المنابر أحمدا
وأرى الحسين.. مغرداً في قبره
وأرى علياً.. عابداً.. متعبدا
وأرى أبا ذرّ يعانق ربذة
وأرى البتول.. وطفلها.. متعمدا
وأراك يا وطني.. كجنة خالق
وأراك ورداً للورود موردا
فالأبجدية من حروفك.. نضدت
واللحن يزهو.. في القدود.. منضدا
أشجارك الحبلى.. تنير.. بحملها
سبحان من خلق التراب مولدا
أولى السنابل من جنانك أزهرت
والعود غنّى.. في ديارك.. غردا
وطني وحبك في دمي متجذر
وهواك غنى في الفؤاد.. وأنشدا
يا صوت حق.. للحقيقة.. صادحاً
صارت لغات.. العالمين.. له صدى
إني أحبك.. أن تكون.. موحدا
فالرب أوصانا.. التوحد.. والهدى
ذبحوك أولاد الأفاعي.. غيلة
بسيوفهم.. سفحوا دماءك بالمدى
صاحت دماؤك موطني يا موطني
نحن الفدى.. كل الدماء.. لك الفدى
وأتوك.. أعتى الظالمين.. بظلمهم
من كل أرض.. في البرية.. حشدا
ذبحوك باسم الرب.. قالوا: شرعنا
نستولد اللقطاء.. جيشاً أسودا
فنهضت.. من بين الركام ـ غضنفراً
وصرخت.. لا.. لا أنحني لمن اعتدى
وزأرت زأرة ضيغم متوثب
صارت دواعش خيبر قبض الردى
وطني أحبك.. كافراً أو مؤمنا
أو جانعاً.. أو مورقا.. أو أجردا
لو خيروني.. بين حبك.. والردى
لاخترت حبك لن أهاب من العدا
فبأي دين.. يحرقون كنيسة
وبأي رب.. يسرقون المسجدا
وبأي محراب يصلي شيخنا
وبأي إسلامٍ تفلسف واهتدى
وبأي شرعٍ يذبحون أجنة
وبأي عقل كفروا.. من وحدا
وبأي رب موسنوك إلهنا
وبأي دين.. صهينوك.. محمدا
وطني وأنت جنان رب خالق
أنت الفراشات الجميلة والندى
من أرضك العذراء.. جاء مسيحنا
وأتى محمد في البراق.. موحدا
وطني وحبك خالد.. في خافقي
وهواك في نبض الفؤاد مخلدا
كفكف دموعك.. إن صبحك ينجلي
والفجر آت.. صوته يترددا

الحياة كسؤال مزهر

•أوس أحمد أسعد

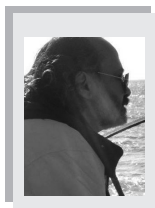

.1
امرأة ورجل
ظلّ طويلٌ
طويل
يتنفّس التّلّة
.2
سأعتمدُ
إيحاءاتِ قدومكِ
من رعشةِ الطّائر
في عشّه البَليل
.3
يا للثّعلبِ الوسيم
يا للنّهدِ المرح
في زحفه الأخضر
يلتقمُ
نمشَ الرّغبةِ
ويعصفُ بسنابلِ الجسد !
.4
الذي أوعز للرّيح
أن تنتعلَ
خفّيّ المطر
وأهدى الحروفَ
قبّعةً من ضباب
هو أستاذٌ
في فنّ القصيدة
.5
غابتِ النّقطةُ
حدّ التّلاشي
حدّ الوضوح
قلتُ :
هو ذا عصفورٌ آخر
يرقصُ
في غابة الاحتمال
.6
تهويماتُ العلوّ
في أفقِ الثّمالة
كما الرّفيفُ
في مخيّلة الدّالية
كيف سأشرحُ
مزاجَ الطّائر ؟!
.7
الألمُ المتخثّرُ
في مقلتيّ تلك المرأة
أيقظَ سرباً
من النّايات
من أهالَ التّراب
على أنين الأرض ؟!
.8
قبل أن يجفّ ضرعَ العزلةِ
ألقمتْه
فمَ النّبع
ليرتوي الشّاعر
.9
أوّل الغابة
فأسٌ
آخرُها
ليس الحطّاب
.10
لا تستعجلِ الوصولَ كثيراً
النّهايةُ
محضُ بئر
.11
العتمة تهطلُ
الأدقُ
أنّها توشكُ الهطولَ
" رَ " لطيورِ الأُفقِ
تطوي أجنحَتها
بتمهّلٍ شديد
" فِ " الحكمةَ حقّها
بالمديح
.12
انطفاءُ شمعةٍ في العتمةِ
كفيلٌ
باحتضارِ الكلامِ
دفعةً واحدة
من يفسّر لي معادلة
المحو هذه ؟!
.13
شجرة التّفّاحِ العجوز
أكبرُ من غيمة صيفٍ
على ناصيةِ الأمل
توعزُ لنسغِها الغاربِ
بالتّمدّدِ البهيّ
لأنوثتها الهاربة
بالتّفتّحِ حدّ الألم
لجذورها التّعبى
أن تغبّ أقصى ما تستطيع
من هلوساتِ الماء
وقبلَ أن تسقطَ
كقبلةٍ جريحة
أغدقتْ تفّاحها
بسخاء !
.14
تحت ظلالِها الظّمأ ى
أقصدُ عناقيدَها المجيدة
جثا
محتضناً الجذعَ
أمطرتْ فتجلّى
انداحَ أكثر
لتعانقه
ارتقى
لتتدلّى
.15
أنثى ، ذكر
جناحا طائر الغربة
متى
ينتهي التّحليق ؟!

قصص قصيرة جداً

•محمد محمود قشمر

1ـ براعة

تكلَّم ذلك الرَّجل المشهور قائلاً:

ـ لقد لمست فعلاً مصداق قول القائل وراء كلِّ رجلٍ عظيمٍ امرأةَ..

فقالت إحدى النِّساء:

ـ ذلك أنَّ بناء العظمة الشَّاهق، لا يقوم إلا على نفقات باهظة؛ أجود من يسخو بها هي المرأة.

• • • • •

2 ـ إرادة

سأل النَّمر فريسته وفمه يطبق على خناقها:

ـ لماذا لا تكُفِّين عن حركاتك المزعجة، وأنت تعلمين أن لا مفرَّ لك بعدُ من سطوة أنيابي؟

أجابت فريسته بأنفة:

ـ لأنَّ أنيابك الطَّويلة والحادَّة؛ قادرةٌ على الانغراس في لحمي فقط، وهيهات هيهات أن تصل إلى إرادتي فتمسَّ ولو جزءاً من تصميمها على البقاء.

• • • • •

3 ـ ثرثرة

خاطبت الفراشة اليرقة قائلةً:

ـ أراكَ تدأبين لجعل نفسك كرةً إذ تأكلين بهذه الشَّراهة العجيبة...!!

فردَّت اليرقة ببرود:

ـ بالطَّبع.. إنَّني أفعل ذلك لأُشبع رغبةَ تقودني لئلا أصير ناكرة لأصلي، مثلما همُ الجهلاء والحمقى..!!

• • • • •

4 ـ مبادلة

سأل العاقلُ المجنونَ قائلاً:

ـ لماذا يُقال إنَّك مجنونٌ وأنت تتحدَّث عن مختلف الأمور بكثيرٍ من الدِّقة والتَّفصيل؟

أجاب المجنون شارحاً:

ـ المسألة هي مسألة التباس بسيط فقط؛ فنحن بسبب ارتقائنا الفكريِّ ودقَّتنا في أخذ الأمور سُمينا من قبلكم مجانين، وأنتم بسبب سطحيتكم بتقليبكم القضايا واكتفاؤكم بقشورها دعوناكم مجانين، وبقاؤنا في المصحَّات ليست إلا مسألة وقت فقط لتكثر أعدادنا؛ عندها ستجدون أنَّنا أخذنا أماكنكم، ووضعناكم في أماكننا.

• • • • •

5ـ إرث

سأله بعد أن أغمد سكِّينه في صدره وفار الدَّم عليها:

ـ آسفٌ يا أبي.. ما أردت أذيَّتك قط؛ إنما الحصول على مالك بأسرع طريقة ممكنة وبأقلِّ الخسائر، وقد حَصل مَا ترى.. أسألك المسامحة والمغفرة لأنَّني أخشى تأنيب الضمير.!!

فقال الوالد وهو يُحتضر:

ـ الحقيقة يا بنيَّ أنَّني لست صاحب المال؛ فجدُّك قد ورثه من أبيه، بنفس الطَّريقة الَّتي ورثها أبوك منه، وهي الَّتي ترى أنَّك قد ورثتَهُ بها الآن.

• • • • •

6ـ عدل

سأل الليلُ القمرَ قائلاً:

ـ هل من العدالة أن يتغنَّى العُشاق بجمالك الأخَّاذ، ولولا صفحتي الَّتي يختال وجهك عليها لما عُرف لك ذكر..؟!!

فأجاب القمرُ:

ـ الحقيقة.. أنَّه لولا بساطك الدَّاجي ما بانت ملاحتي، ولولا وجهيَ المنير ما أُنس بظلمة وجهك أبداً.

• • • • •

7 ـ حياة

خاطبت السِّكينُ البصلةَ باستعلاءٍ قائلةً:

ـ ما ذرفك دموعاً غزاراً وأنا أُقطِّع أوصالك جيئةً وذهاباً إلا لشعورك بالمذلَّة والصَّغار..

فقالت البصلة بحذاقة:

ـ يا حمقاء.. هذه الَّتي ترين هي دموعي ودمائي معاً؛ دموعي عليك أنت الَّتي تجهدين لجعل من حولك بلا حياة مثلك، ودمائي السَّائلة فداءً ليحيا من هو أسمى منِّي بالحياة.

• • • • •

8 ـ عجب

سأل القاضي الميزانَ باستغرابٍ قائلاً:

ـ أتعجَّبُ لبقاء كفَّتيك متوازيتين في عالم اعوجَّت عدالته وقيمه ومبادئُه..!! هلا خلخلت توازنك فتعبِّر عن واقع عصرنا؟

أجاب الميزانُ بنباهة:

ـ وأنا عجبي منك أكبر، إذ طالبتني بارتداء برقع الباطل وما فعلت أنت، ولو ارتديته كغيرك لما عدت تراني كما تراني..!!

• • • • •

9 ـ خيال

سألت الجميلةُ المرآةَ بتيه:

ـ كلَّما نظرت فيك أُسائل نفسي وأُسائلك، أأنا مرآتك أم أنت مرآتي؟ وبقيت المرآة لا تريم جواباً.

لكن..

وبعد أن أنقضى حينٌ من الدَّهر؛ ما عادت المرآة تسمع ذيَّاك السُّؤال، فخاطبت صاحبتها قائلةً:

ـ لم أكن أُجيبك سابقاً لأدعك تعرفين أنَّني لا أعدو كوني عاكسةً لخيالك، جميلةً بجمالك، تائهةً بتيهك، مُنقبضةً بانقباضك.. خيالك أنت ولا شيء أكثر..!!

العام ٢٠٢٠

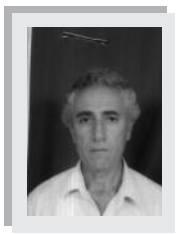

• يونس محمود يونس

في حديقة المدينة كان الشتاء أكثر لطفا. إذ كانت بعض الأشجار مورقة خضراء لا تعرف من أمر الشتاء شيئا، وأعداد المتنزهين أقل بكثير من طاقة الحديقة على الاستيعاب، وهم بالمناسبة إما طلاب مدارس. شباب وبنات، أو عجائز آثروا الفرار من وجوه نسائهم، وها هو عجوز منهم يظن أنّ رأسه فارغ بسبب فراغ الحديقة، أو لعل فراغ جيبه باستثناء بعض الأوراق النقدية المهترئة من فئة المائة ليرة هو الذي أفرغ ذهنه على ذلك النحو. فأخذ يتجول في الممرات على غير هدى، وبينما هو كذلك. وجد مقعدا يجلس عليه شاب يبدو تائها، أو لعله لا يلوي على شيء. فجلس بجانبه وقال محيّيا:

- مرحبا أيها الشاب. هل أنت بخير؟

أجابه الشاب وهو يستدير نحوه ليراه:

- أنا !! نعم أنا بخير.

- أنبأني وجهك بشيء آخر. من أين أنت؟

- أنا من هنا !

- هنا الحديقة ! فهل أنت منها؟!

- نعم أنا منها طالما أنا فيها.

فسأله العجوز بعد لحظات من التفكير:

- ما أسمك أيها الشاب؟

- اسمي سين، وتستطيع أن تناديني يا سين. فأجيبك على ندائك.

قال العجوز:

- ياسين والقرآن الحكيم؟

فردّ الشاب بطريقة لا تخلو من الاستغراب:

- اسمي سين، والياء أداة نداء.

قال العجوز:

- مع ذلك الحالة صعبة.

فقال الشاب وكأنه وجد ضالته:

- نعم إنها صعبة، ولا نستطيع الفرار من هذا القدر السيئ مادام المكر هنا والمكر هناك.

قال ذلك وهو يشير بيد إلى الأعلى. فقال العجوز وقد اكفهر وجهه قليلا:

- منذ بعض الوقت أخبرني عجوز مثلي. لكن أظن أنه خرفان. أخبرني أنّ الله لن ينسانا، وأنه سيرسل الكثير من ملائكته لمساعدتنا على الخروج من مكر هذه المحنة التي تفتك بنا.

- وهل أخبرك العجوز الخرفان متى سيرسل الله هؤلاء الملائكة؟ أقصد. هل سيتأخرون مثلا!

- الحقيقة لم أسأله إذا ما كانوا سيتأخرون أم لا. لأنّ ذهني مشغول بأمور أخرى أكثر أهمية، وأكثر إلحاحا.

- وما هذه الأمور التي تشغلك؟

قال العجوز وقد بدت عليه إمارات الهم والقلق أضعاف ما كانت عليه.

- ابنتي في عقدها الخامس وتريد أن تتزوج الآن، ولأنها ابنتي أشفق عليها وأتعاطف معها. لكني لا أعرف كيف أساعدها. إذ من الصعب عليّ أن أجد لها رجلا مناسبا في هذه الظروف القاسية التي نمر بها.

قال الشاب:

- المفروض أن تطلب الطلاق في هذا السنّ لا الزواج.

فردّ العجوز قائلا:

- لو أنها تزوجت باكرا. ربما كانت تفكر الآن بطلب الطلاق. لكن من أين لنا أن نعرف ماذا يخبئ القدر لنا. هذا إذا كان منصفا كما نتوهم. لأنه غالبا ما يكون ماكرا، وقد يأتنا متنكرا بأبهى صوره ليضربنا بمكره الرهيب.

- قضية القدر تتكئ على الاعتقاد والإيمان، ولا يمكننا الدخول في هذه المتاهة الآن. لأنّ الناس. حتى المتفقين بأمر إيماني كهذا.. يختلفون في نظرتهم إليه. لكن ماذا عن العجوز الخرفان الذي حدثك عن الملائكة. هل هو خرفان حقا؟

- لو كنت أعلم بميلك لأن يكون عاقلا لجعلته أعقل من لقمان الحكيم. لأني أنا من اخترعته، وقد فعلت ذلك لأتسلى معك، وحتى قصة ابنتي الراغبة في الزواج لا أساس لها من الصحة. لأنّ الله لم يرزقني ولا بنصف بنت لتكون عونا لي في آخرتي. لقد كذبت عليك، وهذه كل الحكاية.

- أنت؟!!

قال العجوز مندهشا:

- أنا ماذا؟

عندئذ أخذ الشاب يقهقه بطريقة عصبية كأنه يمزق ثوباً، وقبل أن يترك فرصة للعجوز كي يتكلم ثانية. نهض وهو يخفي وجهه بيديه كي لا يرى أحد دموعه. لكنّ نحيبه كان مسموعا، ولم يفلح في إخفاء صوته.

فقال العجوز:

- لماذا؟! لماذا؟! أرجوك لا تذهب.. لا تذهب أرجوك. فقد سمعت أحدهم يتحدث عن وجود قنبلة موقوتة في هذا الاتجاه الذي تسير فيه. عد أرجوك.

لكن الشاب لم يصغ، ولم يلتفت. في حين أخذ العجوز يهز رأسه مستغربا.

قريتي والعالم

•هانئ جميل دقة

استقليت الحافلة من حلب قاصدا قريتي وقبل وصولي إلى القرية وعند المفرق من جهة الشرق طلبت من السائق أن ينزلني

وضعت بساتين الكرز خلفي ونظرت إلى الأمام نظرت إلى آخر نقطة ممكن أن تراها عيني من هذا المكان واستقربت بعدها النظر حتى وصلت بنظري إلى مكان وقوفي نظرت بعدها إلى يميني فرأيت الأشجار تنحني باتجاة الجنوب على غير المألوف للطبيعة فيجب أن تنحني شرقا لأن الرياح تأتيها من جهة الغرب ولكن على يساري وهي الجهة الجنوبية هنالك صخور هذه الصخور هي هي منذ ألاف السنين صامدة ثابتة لا تتغير يفصل بين الأشجار والصخور طريق معبد

سرت على هذا الطريق منتشيا مستمعا إلى حوار الأشجار والصخور متعلما منها الكثير

هذا الطريق كنت ومازلت أراه أجمل الطرق على سطح الكرة الأرضية كنت وما زلت أره طريقا من طرق الجنة

وصلتها بعد الغياب وكنت قد تركتها ولم يكن في شعري شعرة واحدة بيضاء والآن لا يوجد أية شعرة سوداء هذا هو الحال ودوام الحال من المحال

عرفتني حجارتها قبل أن أعرفها واستقبلتني بوجه بشوش سلمت عليه وعانقتني بحرارة وبادلتني الشوق بالشوق

وفجأة عاد الزمان للوراء وكأن شيئا لم يكن عدت طفلا صغيرا يلهو في أزقتها ويعود إلى أمه عند المساء متسخا بالغبار والطين

القرية القديمة لم يغيرها الزمن دخلت في دهاليزها متجها نحو بيت جدي القديم اعترضني بعض المارة وسألوني من أين أتيت وماذا تريد أيها الغريب

فقلت لهم أتيت من المستقبل وهو ليس ببعيد أتيت لكي أحس بلمة الناس وبساطة الأشياء وبطعم العيد

متحف شخصي خاص

•د.أحمد زياد محبك

وأنا أتناول طعام الغداء مع الأسرة يتصل بي صديقي نذير، ليقول لي:
- جهز نفسك فورًا، سأكون أمام باب العمارة خلال عشر دقائق، ستذهب معي إلى فيلا عزيز بك.
وأسأله:
- فاجأتني، ما سبب هذه الزيارة.
- لا تسألني الآن، عندما نصل ستعرف كل شيء.
ويغلق الخط.
ما معنى هذا كله؟ صوته متقطع، كأنه يلهث، وكيف سيكون أمام باب العمارة خلال عشر دقائق، هل هو قريب من بيتي؟ في كل مرة لا يصل إليّ إلا بعد ثلث ساعة على الأقل.
يحدثني صديقي نذير دائما عن صديقه عزيز بك ويدعوني إلى زيارته، ويلحُّ علي، ويذكر لي أنه قد خصص في الفيلا غرفة واسعة يعرض فيها تحفًا وآثارًا رائعة لا تقدّر بثمن، ويذكر أن كبار الصحفيين والإعلاميين من أوربة يزورونه، ولاسيما من فرنسا وإنكلترة، ليطلعوا على التحف والآثار التي ورث أكثرها عن أبيه وجده، في حين اشترى بعضها بأثمان عالية، ويؤكد أن ثمنها مع الأيام سيتضاعف أضعافًا، حتى إنه يفكر في بيع الفيلا وشراء دار قديمة في حيّ من الأحياء الشعبية ليعرض فيها ما عنده من الآثار والتحف، وهو يرغب في تخصيص كل غرفة من غرف تلك الدار لنوع من التحف، وهو عازم على الحصول على ترخيص من الجهات المعنية لتسمية الدار باسم جده الأول، ويؤكد لي صديقي نذير في كل زيارة لي أنني لو زرت معه فيلا صديقه عزيز ورأيت التحف والآثار لأوحت لي بكتابة قصة جديدة لم أكتب مثلها من قبل.
ومرت الأيام، ولم يعد صديقي نذير يحدّثني عن صديقه عزيز بك، ويبدو أنه ملّ من دعوتي إلى زيارته، فلم يعد إلى ذكره لي، ودفعني الفضول ذات يوم فقلت له:
ما أخبار صديقك عزيز بك؟
ففرح بالسؤال، وبادر إلى القول:
آخر مرة زرته فيها الأسبوع الماضي، هو مقبل على شراء دار قديمة في حي شعبي، ولا أعرف إذا كان قد نفذ فكرته، ما رأيك في زيارته الآن؟ أود زيارته للاطمئنان عليه، ويسرني أن ترافقني، ويسره أن يسمع رأيك في فكرته.
فقلت له:
لا بأس، لكن، لم نأخذ منه موعدًا.
فثارت حماسة صديقي، وهو المعجب بصديقه عزيز بك، أو بالأحرى معجب بتحفه، وقال لي:
هو رجل قعيد الفيلا، لا يغادرها، ويسر بالزيارات المفاجئة، أكثر من سروره بالزيارات المحددة مسبقًا، هيا، لننهض.
فلنتصل به بالهاتف.
ضحك صديقي، وقال:
الفيلا تقع في الريف، وليس عنده هاتف.
نتصل بالهاتف الجوال.
ليس عنده هاتف جوال، لا يحب الأشياء الحديثة.
قلت له:
لكني على موعد مع الطبيب، وسيمر بي ابني ليأخذني بسيارته.
زيارتنا لن تطول، سنذهب بسيارتي، وأرجع بك، من غير تأخير.
وانطلقنا إلى زيارة السيد عزيز بك.
رحب بنا الرجل أجمل ترحيب، وبدا عليه كأنه يعرفني منذ قرن من الزمن، ولا شك في أن صديقي نذير هو الذي حدثه عني من قبل، ودعانا الرجل إلى غرفة الضيوف، وقال لنا:
نشرب القهوة أولا، ثم نزور متحف الآثار والتحف.
واقترح عليه صديقي نذير:
بل نزور أولا صالة العرض.
عزيز بك شيخ عجوز، طاعن في السن، في نحو السبعين، ولكن، يبدو كأنه في التسعين، هو نفسه في هيئته يبدو كأنه تمثال في متحف، يرتدي معطفًا رماديّ اللون من الزي الفرنسي الذي يرتديه المحققون في الأفلام البوليسية القديمة، ونسميه ترانشكوت، ويعتمر قبعة من النوع الذي يرتديه الصيادون والمستكشفون في الأدغال، ويضع نظارة مدورة العدسات لا أعرف كيف ثبتها على أرنبة أنفه، وليس لها ذراعان، وهو طويل القامة، محنيُّ الظهر، يتوكأ على عصا معدنية مقبضها من فضة كأنها صولجان، ويأتي صوته مبحوحًا خافتًا من عمق حنجرته، حتى يكاد يغيب.
فتح عزيز بك باب الصالة، وقال لي:
تفضل بصحبة صديقك نذير، تجوَّلْ معه بحرية، وتعرَّفْ بنفسك على الآثار والتحف، وأنا أستأذنكم، سأعد لكم القهوة بنفسي.
وتدخّل صديقي نذير:
بل ابق أنت مع الأستاذ، وأنا سأعد القهوة.
وفي الحقيقة أشفقت على عينيه وعلى ظهره وعلى صوته، وودت لو يقعد، ويتركني أتجول وحدي، لكنه أبى إلا التطواف معي، وهو يميل على كل قطعة، ويتكلم بصوت ضعيف.
هذه مدفأة حطب سيرميك، صنع إنكلترة، عام 1800، دفع لي هاوي تحف مثلي خمسمئة ألف ليرة ثمنًا لها، فما بعتها، وهذه طنجرة بخار ضغط صنع إنكلترة عام 1850، وهذه صحون بللور بورسلان تشيكية أصلية.
ورفع رأسه، وأشار بالعصا إلى مرآة جدارية بطول مترين وعرض متر ونصف تقريبًا، صافية متألقة، محاطة بإطار خشبي، حفرت فيه رسوم عريشتي عنب تتدلى منهما العناقيد، رأيت صورتنا منعكسة في زجاجها الصافي، وظهر لي فمه الواسع، المنشقّ عن شفتين رقيقتين جدًا كأنما أذابتهما الأيام، وتأكد لي أنه ليس في فمه أي سن، وهو يتكلم فيقول:
وهذه مرآة حجرية تشيكية عمرها أكثر من مئتي سنّة، محجَّرة، لم تصدأ، ولم تؤثر فيها رطوبة، وهذا لوكس صنع السويد، وهذا وابور كاز صنع السويد.
ثم استند إلى آلة خياطة ذات أرجل، وقال:
هذه ماكينة خياطة ماركة سنجر صنع عام 1780 هي أول ما كينة خياطة تدخل إلى البلد، اقتنتها جدة جدي، أو ربما أمها.
ثم لمس بأصابعه مفاتيح آلة كاتبة، وقال:
هذه آلة كاتبة، من نوع برذر عمرها مئة وخمسون عاما.
ثم أشار بعصاه إلى مكواة سوداء، وقال:
هذه مكواة تعمل بالفحم، تضع جمرات الفحم في داخلها، وتكوي بها الثياب، وهي صنع فرنسا، وهذه مكواة أخرى لكن بالكهرباء، وهي أحدث، عمرها حوالي سبعين عامًا، هي من صنع إنكلترة، لكن لا تعتبر حتى الآن من التحف، أي قطعة لا تعتبر تحفة إلا إذا مر عليها مئة عام.
ووضع يده على كتفي، ثم توجهنا إلى منضدة خشبية فاخرة، يتربع فوقها غرامافون ببوقه الجميل، وإلى جواره صندوق فيه أسطوانات تزيد عن الخمسين، وإلى جوار الغرامافون مذياع، يلمس البوق، ويقول:
هذه كنا نسميها سمَّاعة، وهي معروفة بالغرامافون، وكنا ندوِّر هذه الذراع، ونضع هنا الأسطوانة، هي ما تزال تعمل، لكن إبرتها أصبحت خشنة، وهي تخدش الأسطوانات، بحثت عند كل هواة التحف عن إبر خاصة بهذا النوع من الغرامافونات، فلم أعثر.
ويرسل زفرة، ثم يقول:
خسارة.
ثم يتجه نحو المذياع، ويضع يده عليه، ويتكلم فيقول:
هذه راديو فيليبس، بأربع موجات، ما تزال صالحة للعمل، فيها تحويل، يمكن أن تعمل على توتر 110، ويمكن أن تعمل على توتر 220، وهي تعمل بنظام اللمبات، كان أبي يقعد إلى جوارها يستمع إلى الأخبار، كنت وأنا طالب في الجامعة أستمع إليها، ثم اشتريت راديو ترانزيستور تعمل بالبطارية وبالكهرباء، هي جزء من تاريخي.
وإلى جوار المذياع تقف مروحة كهربائية صغيرة، يقف أمامها ويقول:
لو كنا في الصيف، لجعلت هذه المروحة تدور، ما تزال تعمل، هواؤها ناعم هادئ كالنسيم، ليس كمراوح هذه الأيام، ولا تحتاج معها إلى مكيف.
ثم انتقلنا إلى زاوية من الصالة واسعة، حيث منضدة طويلة صفت عليها زجاجات عطر من أنواع وأشكال وحجوم مختلفة:
هذه زجاجات عطر باريسية، شانيل، وفوتشي، وستيلا، وشوبارد، ورالف لورين، وأنواع أخرى من ديور...وهناك أنواع نسيت أسماءها، لكنها مسجلة على الزجاجات.
ثم أشار إلى إطار خشبي مزخرف عريض معلق على الجدار، فوق زجاجات العطور، وقال:
هذا الإطار كان يحتوي صورة لوالد جدي، ولكن الرطوبة أكلتها، أعطيتها لمصور لينسخ عنها، فلم ينجح، نقعها في محلول، محا الصورة، ولم يبق سوى الورق، هل أرفع شكوى ضده؟ لا فائدة.
وينتشر في الصالة عبق القهوة، وألتفت فأرى صديقي نذير وهو يدخل حاملاً القهوة، وهو يقول:
أقترح أن نعود إلى غرفة الضيوف لنشرب القهوة.
أوافقه على الفور، مشفقا على العجوز. ونحن نحتسي القهوة، يتكلم الرجل العجوز، فيقول:
من المؤسف، لا أحد يقدر هنا هوايتي، لا صحافة ولا تلفزيون ولا زوَّار، مع أن كبار الصحفيين والأدباء والمستشرقين يأتون من بلادهم البعيدة لزيارة هذه الصالة، ولعل صديقك حدثك عن فكرتي، أرغب في شراء دار قديمة، في حي شعبي، لأضع فيها آثاري التي أعتز بها، وأجعلها هبة للوطن، هي جزء من تاريخنا، آثارنا تدل علينا.
علقت بهدوء:
لكن، أكثر هذه الآثار من المصنوعات الأوربية، وخاصة الفرنسية والإنكليزية والتشيكية.
نعم، صدقت، لكنها تمثل مرحلة من تاريخنا.
لم نكد نفرغ من شرب القهوة، حتى رن هاتفي الجوال، وإذ بابني يذكرني بموعدي مع الطبيب.
ألتفت إلى السيد عزيز بك أعتذر إليه عن قِصَر الزيارة، وأعده بزيارة أخرى في وقت قريب.
أظهر الرجل أسفه، أشار إلى هاتفي الجوال، ثم قال:
هذه الأجهزة اللعينة أفسدت علينا حياتنا، لذلك، أنا أعيش هنا منعزلًا عن الناس مع آثاري.
يقف مستندًا على عصاه، يعلو وجهه الاكتئاب، يضع يده على كتفي، يتكلم بهدوء:
بصراحة، أجد نفسي أتردد في العودة إلى الحي القديم والاختلاط بالناس، أفكر أحيانا ببيع كل هذه التحف والآثار، أحس بوجودها كأنه عبء، لا أحد يقدر، ولا أحد يهتم، صدقني، أفكر أحيانًا بتحطيمها وحرقها كلها، أو
نذير يقاطعه:
لا تفكر مثل هذا التفكير، أفنيت عمرك في جمعها، ونذرت لها حياتك، وأنفقت فيها أموالك، هي جزء منك.
وعند الباب، وهو يودعنا، يضغط على يدي، ويقول، وهو يغير لهجته:
حدثني الأستاذ نذير عنك كثيرًا، وذكر لي أنك كاتب قصة، أتمنى أن تكون زيارتك لي قد أوحت لك بقصة، أتمنى أن تكتبها.
في طريق العودة، وصديقي يقود السيارة، سألته:
كيف يعيش الرجل هنا وحده؟
أجابني بكل بساطة:
هذه هي حياته، هو سليل أسرة أرستقراطية، كما رأيت، وهناك تحف وأشياء أخرى كثيرة، ورث أكثرها عن جدوده.
وزوجته وأولاده؟
عاش عمره كله عَزَبًا، لم يتزوج، ولم يُنْجِبْ.
بعد قليل من الصمت، سألني:
ولا أعرف لماذا يدعوني اليوم فجأة صديقي نذير إلى زيارته؟ ولم يمض على زيارتنا له سوى بضعة أيام، أو ربما أسبوع، هل من جديد؟ هل اشترى تحفة جديدة؟ هل زاره وفد إعلامي؟ هل باع الفيلا؟
وينطلق صديقي نذير بسيارته إلى فيلا عزيز بك، وأنا إلى جواره.
يقود بسرعة، وليس من عادته، وهو قلق متجهم الوجه.
أخبرني، ما ذا حدث؟
ستعرف كل شيء حين نصل.
وينعطف في الطريق الفرعية، المؤدية إلى الفيلا، على بعد نحو ثلاثة كيلو مترات، وهو يزيد من سرعته. هي في الحقيقة ليست فيلا، إنما هي دار متواضعة، تتألف من طابقين، بالقرب من الفيلا قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة، يعملون في الزراعة ورعي الغنم، وعلى مبعدة من الفيلا، خيام غجر متنقلين. مع انحدارنا من الهضبة المطلة على الفيلا، أرى سيارة إسعاف، وثلاث سيارات للشرطة، وجمعًا من الناس، أمام الفيلا.
فور وصولنا تدافع نحونا بضعة رجال من القرية، كانوا يعرفون صديقي، وانهالت علينا تعليقاتهم:
أنا خبرتك، أستاذ نذير، وخبرت الشرطة.
ثلاثة أيام وما خرج من الفيلا.
وما جاء إلينا في القرية.
لصوص دخلوا الفيلا، حطموا كل التحف.
وقتلوا الرجل.
وشنقوه بحبل.
وعلقوه بالسقف.
وما سرقوا أي شيء.
أنتحي جانبا بصديقي، أسأله:
- هل تشك في أهل القرية؟
يجيبني:
- أهل القرية طيبون، يحضرون له الحليب واللبن والدجاج ولحم الغنم وخبز التنور، كل يوم، هو كان يحكي لي ذلك، وكان يدفع لهم أكثر مما يطلبون، وإن كانوا يتعففون ولا يريدون أخذ الثمن، فهم كرماء طيبون.
- والفجر، هل تشك فيهم؟
- الفجر لا يرتكبون الجرائم، الفجر يحبون الحياة، كان عزيز بك نفسه يحدثني عنهم، قال إنهم يعيشون حياة رفاهية، وليسوا بالفقراء، كما يظن كثير من الناس، وذكر أنه يرى كثيرًا من السيارات تزورهم بعد منتصف الليل، حيث يقيمون في خيامهم سهرات الطرب والرقص والغناء، وكان هو نفسه يسهر عندهم بين حين وآخر، وأكد لي أنهم كانوا يكرمونه.
ونتوجه إلى سيارة الشرطة، نسأل الضابط، فيجيب:
فور دخولنا رأيناه مدلى من السقف بحبل مشدود على عنقه، وتحت رجليه كرسي مقلوب، لا يوجد كسر لباب، ولا نافذة، ليس في جسمه أي أثر لهجوم، الفيلا حتمًا لم تقتحم، الرجل على الأغلب شنق نفسه.

الثور

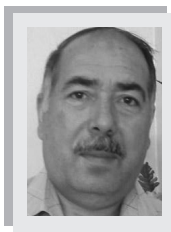

•عيسى إسماعيل

على الرغم من أنّ هذه الحادثة وقعت قبل ستين عاماً ونيّف، غير أن الناس لا تزال تتناقلها، فغدت من قصص الماضي.
"نفق ثور الكيبي"!
ثلاث كلمات راح أهل القرية يتناقلونها. انتشر الخبر في القرى المجاورة. كثرت التعليقات. ثمة من أبدوا حزنهم لما حصل، وثمة من لم يستطيعوا إخفاء شماتتهم، غامزين من قناة صاحب الثور " شعلان الكيبي ".
فعندما أفاق شعلان، في الفجر كي يقدم للثور غذاءه الخاص وهو خليط التبن وأنواع العلف، راعه ما رأى وسط الحظيرة.! وللحظات، لم يصدق عينية فقد كان الثور ممدّاً بلا حراك. تقدم منه نهره لكنه لم يتحرك. أعاد الكرّة، لكن دون جدوى.
"ما هذا!!"
لا يريد أن يصدّق أن الثور قد نفق وهو في عنفوان قوته ونشاطه مع البقرات اللواتي يأتي بهن أصحابهن من القرية، والقرى المجاورة كي يلقحهن، من أجل أن يحملن ويلدن عجولاً ذكوراً وإناثاً، إذ لم يكن في كلّ هذه القرى سوى ثور الكيبي الذي يقوم بهذه المهمة. فما أن تظهر الأثار الدالة على حاجة هذه البقرة أو تلك ،إلى تلقيح حتى يأخذها صاحبها إلى ثور الكيبي كي يلقحها مقابل خمسة وعشرين ليرة سورية يدفعها صاحب البقرة نقداً. ويحصل في بعض الأيام أن تفد إليه ست بقرات وهذا معناه أن يحصل شعلان الكيبي على مائة وخمسين ليرة سورية، وهذا المبلغ، في تلك الأيام يعادل الراتب الشهري للموظف الحكومي.
كنا صغاراً تلك الأيام وكنا نسأل أهلنا عما نسمع عن هذا الثور. وقد خيل لنا انه أسطورة. وفي طريقنا إلى المدرسة كنا نختلس النظر من شقوق البوابة الخشبية للثور الضخم في باحة الدار، ونشعر بالخوف لكثرة ما سمعنا عنه وعن قوته الخارقة والثروة التي يجنيها صاحبه بسببه.
كان الناس يتناقلون حكايات عن الثور أكثرها غير صحيح. ولعلّ إحدى الحكايات، وهي آخر حكاية عنه، لا يزال الناس يتداولونها، هي قصة ذلك الفلاح الذي جاء من خارج القرية ومعه بقرة يريد تلقيحها من ثور الكيبي غير أنّ ما حصل كان مذهلاً، لأن يستطع الثور القيام بمهمته بعد محاولات عديدة. شعر شعلان أنّ قلبه كاد أن يتوقف. ثور الكيبي يحصل معه هذا تساءل الناس غير مصدقين لكنه بالفعل لم يقدر على تلك التي كانت توهمه أنّها مستسلمة له، لكنه ما إن يكاد يهم بها حتى تتحرك بسرعة. يعيد المحاولة لكن دون جدوى وهكذا، فبعد أربع أو خمس محاولات طلب شعلان من صاحب البقرة العودة من حيث أتى، وقال له غاضباً
"لا أريد أن أراك ولا أريد أن أرى بقرتك في هذه القرية بعد اليوم"
في صبيحة اليوم التالي وجد الثور ممدّداً بلا حراك. كثرت التعليقات والتكهنات حول سبب نفوق الثور.
مختار قرية الكيبي عابد الكيبي:
" أشعر أن أسرتنا أصيبت بكارثة. هذه مهنة العائلة منذ عشرات السنين. الثور في ذروة قوته وعنفوانه....لكن كان الله في عون ابن عمي وفي عون أسرتنا "
راعي أبقار القرية هواش:
"لم أصدق ما سمعته أوّل الأمر لابد أنّ سوءاً ما أصاب الثور... ربما دس له أحدهم السم...لا مصلحة لأحد سوى بيت "السودة" الذين جاهروا بنيتهم اقتناء ثور يقوم بنفس المهمة ليضعوا حداً، على حد قولهم، لاحتكار المهنة التي تدرّ ذهباً ".

خدوج زوجة شعلان الكيبي :
"لا أحد يقوم بهذا العمل الفظيع سوى ضرتي مريومة التي تكاد تموت غيظاً لأنّ شعلان يحبني فأنا زوجته الثالثة الجديدة وقد قالت ذات مرة إنه لن يهدأ لها بال حتى ترى شعلانا على الحديد "
الفجرية نور في أثناء تقديمها المواساة لأسرة الكيبي قالت:
إن عين حسود قضت على الثور. كان على شعلان أن يضع خرزة زرقاء في عنق الثور.
صفوان الألماني الذي يدرس الطب البيطري في ألمانيا الديمقراطية قال:
ربما تكون مؤامرة خارجية. أحد ما خارج القرية تسلل ووضع السم للثور المسكين. لا يجب أن نحصر شكوكنا بأهل القرية بل الأهم أن نوسع دائرة شكوكنا
وأنا كاتب هذه القصة :
سمعت هذه القصة من أبي ومن جدي رحمهما الله. فالثور القوي أصبح يوصف أنّه مثل ثور الكيبي. هذا يعني أنّ. الثور دخل تاريخ القرية وحكاياتها وتراثها الشعبي. وتذكر من خلال القصة أسرة الكيبي والأسر المنافسة لها، وشعلان وزوجاته والمختار وغيرهم لقد بقي ذكره بسبب ذلك الثور...!!

العَشاءِ الأخيرِ

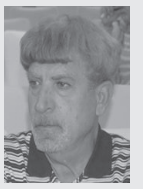

• سليمان دغش

في العَشاءِ الأخيرِ على بُعد جُلجُلَة من رؤايَ وأدنى قليلاً
تَذَكَّرتُ مريَمَ أميَ الّتي حَمَّلَتني بِشارَتَها الناصِريَّةَ
مُنذُ تَجَلّى لها الوَحيُ ذات مساءٍ جَليل إلى آخِرِ الخُطُواتِ
على دلوروزا الصَليب فصارَ النَبيذُ دَمي في العَشاءِ الأخيرِ
وكانَ الرَغيفُ المُقَدَّسُ سُنبُلَةَ الجَسَدِ الدنيَويِّ إذا عادَ للأَرضِ
أنبَتَ حقلاً وأحيا التُرابَ المُدَمّى،
إلهي إلهي لماذا تَخَلَّيتَ عَنّي
وما كُنتُ إلّا الدَليلَ إليكَ، حَمَلتُ رسالَتَكَ الأزليَّةَ طَيَّ الضُلوعِ
أُبَشِّرُ باسمكَ قُربَ خلاصِ سُلالةِ آدَمَ مِنْ رِحلَةِ التيهِ
في سِرِّ هذا الوجودِ، لكَيْ تُصبِحَ الأرضُ فِردَوسَنا الدُنيَويَ الأخيرَ
بوسعِ سماءِ المَحَبَّةِ هَلْ مِنْ طَريقٍ إلى مَلكوتِكَ الّا المَحبّة،
مُنذُ خَلَقتَ لآدَمَ من نَفسِهِ زوجَةً وَجَعَلتَ المَوَدَّةَ والحُبَّ بَينَهُما فطرَةً
كَبُرَتْ فيهما لَهُما فَغَدتْ وَلَهاً في الهَوى
في العَشاءِ الأخيرِ وأنتَ تلازِمُني حَيثما كُنتُ، كان يهودا
يُعِدُّ المكيدَةَ مرتَشِياً فلماذا إلهي تَخليتَ عني
ولَمْ أنه رؤيا السَماواتِ في الأرضِ كيْ تُصبحَ الأرضُ
سيّدةَ الكَونِ، باعِثةَ الحُبِّ والخَصبِ في رَحْمِ هذا الوجودِ اللطيفِ
وهلْ كانَ هذا الوجودُ سوى نَفحَةٍ مِنْ تَجلّي الإلهِ اللطيفِ لَنا وَبِنا؟
ولِماذا تَخلَّيتَ عنّي قُبَيلَ النّهايَةِ في ساعَةِ الصَفرِ؟
هلْ لأعودَ إليكَ فتمتَحِنَ الخَلقَ ما بَينَ تَصديقِ صَلبي ومَوتي
ومُعجِزَتي بالقيامَةِ حَيّاً وبينَ ما قَتلوهُ وما صَلَبوهُ،
مِنْ سُلالَتِهِ عاثَ في الأرضِ باسمكَ حتّى استَحالتْ جَحيماً وناراً
كأنَّكَ حينَ تَخَلّيتَ عنّي تَبَرَّأتَ منهُ لِيَشقى بما ارتَكَبَتْ مِنْ مَعاصٍ يداهُ
وأنتَ تراهُ، يُسَبِّحُ باسمكَ ليلاً وباسمكَ يَذبَحُني في النَّهارِ
أضَلَّ الطريقَ إليكَ وَحَرَّفَ كُلَّ الرّسالاتِ عَمداً وزوراً، تمادى افتراءً عليكَ
وَصَدَّقَ أسطورَةَ الوَعدِ وَعدكَ تُعطيهِ أرضي وداري
وما زالَ يوشعُ بن نونَ فوقَ حمارِ الخُرافَةِ يَقضِمُ عُشبَ البلادِ
وَيرعى الخَريطَةَ ما بَينَ ماءٍ وماءٍ على مَدِّ روحي
إلهي إلهي لماذا تَخَلَّيتَ عَني على بُعدِ نَبضَةِ قلبٍ وأدنى
مِنَ القُدْسِ، قُدْسِكَ قُدْسي ومِفتاحُ سِرّي المُقَدّسِ سلَّم روحي الوحيد
إلى ملكوتِكَ، كَيفَ سأصعَدُ بَعدُ إليكَ بلا سُلَّمٍ فَتَجَلَّ على رَبوَةِ القُدسِ ثانِيَةً
آنَ أنْ أتَرَجَّلَ إنَّ الصَليبَ ثقيلٌ على كَتِفَيَّ ودَربي مَديدُ الخُطا
وانزِلِ الآنَ أرضَكَ وابعَثْ بنا نورَكَ السَرمَديَّ لنُكمِلَ من فَيضِ نورِكَ
هذا العشاءَ الأخيرَ الأخيرَ الأخير....

الشمسُ تحبلُ بالجياع

• علي جمعة الكعود

في مطلع السنة الجديدةِ

ما يزالُ البائسونَ

يطاردون مرارة الحلم القديمِ

وما تزالُ أرامِلُ التاريخِ

في عُدَدِ الحروبِ

وما تزالُ الشمسُ تحبل بالجياعِ

الرافعينَ أكفَّهمْ يتضرّعونَ إلى

المطرْ

في مطلع الحزن الجديدِ

ينادمُ الأمواتُ أنفسهمْ

إلى يوم القيامةِ

والحسابُ مهكَّرٌ

والروحُ حالمةٌ بمهدٍ منتظَرْ

في مطلع الآلامِ

أصبحتِ الحياةُ قصيدةً نثريّةً

قد خانها الإيقاعُ

وانتفضتْ بوجه البحرِ

تاركةً رعاياها على ظهرِ

السفينةِ

في خطرْ

أفتح الباب وحدي

• محي الدين محمد

دون بابي خطوتان
خلف ظلّي غربتانْ
في مهاد الأرض دنيا
ترتدي قيظ الأوان
سوف أختار مكاني
كي يظلّ الطيّفُ سقفاً
والرُّوى ضوءُ المكان
يقفز الحرف إليَّ
شاكياً همّ التجلّي
لستُ أهوى أحرفي
تلهو بشكٍ
في اختبار للزوّان
سوف أنسى لهفتي
عند التمنّي
أنا أعزف صمتي
غارقاً في عتميينْ
محنة الهجران سلوى
هل يجافي العيش
أحزان المنافي؟!
أمْ يواسي الماءُ
ملحاً في الصّحارى؟!
والندى يمشي
على أجفان صبحٍ
في البراري
أين أبعادي الأمينةْ؟!
كيف تاهت فوق أهداب
الأماني؟!
تشتهي كلّ الوصايا
وأنا ما زلت وحدي
فتعالي؟؟
نرسم الضّوء
على أعتابنا
والقوافي ثوب المرايا
والمنى بيت السكينة
أنتِ أولى باشتياقي
أنتِ أندى باحتراقي
سوف أبنيكِ
بأنيّ كاتم
أسرار التمني
تتهجاني ظنوني
وزمان الماء
أغوتهُ السّفينة
كلُّ عصرٍ نازحٌ
في أمسهِ..
لستُ أنسى لهفتي
في عتمتينْ..
سوف أختار مكاني
كي يظلّ الطّيف سقفاً
والمدى زنّار عصرٍ
في المنامْ..

رِيْشُ الْكَلَامْ

•فوزي الشنيور

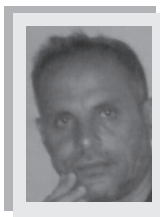

وَرْدَةٌ
عَلَّقَتْنِيْ بِرِيْشِ الْكَلَامِ
وَعَادَتْ - إِلَى مَوْجِهَا -
تَفْرُضُ الْانْتِظَارَ
تَنُوسُ لِحَدِّ الصُّدُودِ
تُحَيِّرُنِيْ
حِيْنَ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى سَاحِلِيْ
حِيْنَ يَتْرُكُنِيْ عِطْرُهَا
فِيْ الْغِيَابِ
أُشَبِّهُهَا بِالسَّرَابِ
وَلَا تُشْبِهُ غَيْرَهُ
حِيْنَ تَدْلُقُ بِالشُّهْدِ
حِيْنَ تَزُخُّ بِتُوتِ الْغُيُومِ
وَحِيْنَ تُفَتِّحُ أَشْجَارُهَا بِالْحَنِيْنْ
تُحَيِّرُنِيْ عِنْدَ كُلِّ حَفِيْفِ
وَلَكِنَّهَا
- هِيَ - غَيْرُ النِّسَاءِ
تُهِيْمِنُ - دَوْمَاً - بِزِيْنَتِهَا
تَصْطَلُ الْوَرْدَ
تُدْهِشُهُ بِالْعُذُوبَةِ وَالدَّنْدَنَاتِ
هِيَ الْعِيْدُ
لَو أَنَّهَا تَسْتَمِرُّ عَلَى خَوخِهَا
لَغَدَوْتُ رُمُوشَاً لَهَا
أَوْ قَمِيْصَاً يَصُونُ عَبِيْرَ النُّعُومَةِ
مِنْ خَرْبَشَاتِ الْعَوَاصِفِ
لَو أَنَّهَا تَسْمَحُ - الآنَ - أَنْ .....
كُنْتُ أُعْلِنْتُ حُبِّيْ
وَفِيْ الْحُبِّ
نَجْتَازُ شَوكَ الْمَسَافَاتِ
نَسْتَنْشِقُ الضُّوءَ
نَشْرَبُ مِنْ زَنْجَبِيْلِ الْفَرَحْ

أوراق في الصحافة المسرحية

•عبد الفتاح رواس قلعه جي

تأخر كثيراً الظهور الحقيقي والفاعل للصحافة المسرحية السورية المتخصصة عن حركة العروض المسرحية التي سادت في عصرها الذهبي في أربعينات القرن الماضي وحتى أواخر الستينات، والتي نهضت بها عشرات بل مئات النوادي والفرق المسرحية والفنية والأدبية في المحافظات السورية. كان الأمر يسير على منوال الولادات الأولى للمسرح السوري، أي عروض بلا صحافة مسرحية حقيقية سوى ما يكتبه بعض المراسلين، ونقرأ اعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر أسماء عديدة أسست لنهوض المسرح فيما بعد كانت تستحق المتابعة الصحفية في حينها: مارون النقاش في بيروت 1848م، وفي دمشق أبو خليل القباني 1871م، وفي حمص عبد الهادي وفائي 1870م، وفي حلب يوسف نعمة الله جد 1872م، وجميعها عُروض مؤسسة لم يطلها الإعلام لعدم وجود صحافة مسرحية في سورية.

تعتبر صحيفة ثمرات الفنون أول وأقدم صحف سورية العثمانية وهي أسبوعية علمية صدر العدد الأول منها في بيروت 25 نيسان 1875م وهي ليست متخصصة بالمسرح، وننقل مطالعتها لعروض القباني: "كتب مراسل "ثمرات الفنون" في دمشق أديب نظمي أنه حضر في الآونة الأخيرة "تمثيل ثلاث روايات من "جوق المتفنن الأديب أبي خليل أفندي القباني الذي أتقن هذا الفن بكل ما يتعلق به". وينقل لنا كتاب قاموس الصناعات الشامية وصفا للمسرح والتمثيل كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي في أواخر القرن التاسع عشر، وهو شاهد عيان عاصر تجربة أبي خليل القباني عن كثب. كما نشر مراسل جريدة "لسان الحال" الصادرة في بيروت 1877 م أخباراً مفصلة مع إشارات نقدية بسيطة عن "مرسح الاتحاد" الذي أسسه جورج ميرزا الذي انفصل عن فرقة القباني ليؤسس فرقة الاتحاد، وقد نشر عن مسرحيات قدمها الاتحاد ومنها: حلم الملوك لكورني، والمريض وهما لموليير. كما نقلت الصحف أخباراً عن مشاركة القباني بفرقته باسم "مرسح العادات الشرقية / القرية التركية"، وهي عروض فولكلورية، وبمساع مع شخصيات بيروتية كمنتجين، في "مؤتمر الفلكور العالمي" الذي أقيم على هامش "معرض شيكاغو" والذي شاركت فيه الفنانة الحلبية ملكة سرور التي اصطحبها معه القباني من حلب إلى شيكاغو بأغنية حب مأخوذة من مسرحية "الدراما القلمونية" من تلحين أبي خليل القباني.

الصحافة المسرحية عادة ما تشمل أموراً عدّة منها: الإعلان، والإعلام، والنقد، والتعريف بمجموعة العمل، وصور العروض، واستجابة الجمهور. وعلى الرغم من تعدد الصحف الخاصة والحزبية في سورية في أواسط القرن العشرين إبان النهضة المسرحية إلا أن هذه الصحف لم تحمل في صفحاتها عبء تغطية الحركة المسرحية في سورية عدا بعض النثريات الصحفية التي لا يعتدّ بها، ولكن مع تأسيس الصحافة الرسمية وشبه الرسمية بعد الستينات: صحيفة الثورة، البعث، تشرين، وصحف المدن الكبرى الثلاث، ومجلة شبيبة الثورة، وجريدة الوطن وإغلاق ما عداها، بدأت هذه الصحف في تغطية العروض المسرحية والمهرجانات في صفحاتها الثقافية. وفي أيام مهرجان دمشق المسرحي كانت أغلب هذه الصفحات تتحول إلى صفحات مسرحية. هذه المواسم كانت تخلق صحافة مسرحية بارزة ولكن محدودة متناثرة أو مؤقتة.

اتحاد الكتاب العرب في سورية، ومجلته الموقف الأدبي الشهرية كانت تطغى على موادها الفنون الأدبية الأخرى ولكننا لا نعدم ظهور دراسة مسرحية أو نص مسرحي في بعض أعداده إلى أن استلم رئاسة الجمعية زميلي د. حمدي موصلي، ثم استلمت بعده حيث قمنا بإصدار عددين كاملين في المسرح نصوصاً ودراسات، هذا عدا عن محاور مسرحية في جريدة الأسبوع الأدبي للاتحاد. وفي أيام عروض مهرجان دمشق المسرحي، وفي مناسبات أخرى كانت مديرية المسارح تصدر نشرة مسرحية من مجموعة صفحات باسم "المنصة" وتضم تغطية للعروض ولقاءات مع المسرحيين وموضوعات وزوايا مسرحية.

الصحافة المسرحية الإلكترونية أي تخصيص مواقع معينة للمسرح وأخباره على النت لم يبرز بها أحد من سورية، وقد شهدتها دول عربية أخرى كموقع الفوانيس المسرحية ومسرحيون والمسرح نيوز لصفاء البيلي، وموقع المسرحي عوّاد علي "إضاءات مسرحية".. وغيرها. وهذه المواقع المسرحية صارت من أفضل وسائل الاتصال المسرحي الحديثة والآنية أمام الحواجز التي يشهدها انتشار الصحف والمجلات المسرحية المطبوعة وصعوبة الحصول عليها للعامة والخاصة.

بعد تأسيس المسرح القومي بدمشق 1960م وفرقة الفنون الدرامية التلفزيونية (د. رفيق الصبان)، ومسرح الشعب بحلب 1968م ثم تلاه القومي 1970 وبعد انتشار المهرجانات المسرحية كمهرجان الهواة الذي ترعاه وزارة الثقافة، ومع تأسيس المعهد العالي للفنون المسرحي، و إنجاز المسرح القومي بدمشق مجموعة كبيرة من العروض الضخمة، وبعد تعدد الفرق والمسارح في المحافظات ومهرجاناتها الفرعية والمركزية كالمسرح العمالي والمسرح الجامعي وفرق شبيبة الثورة، ومسرح الطلائع للأطفال.. بعد كل هذا أصبحت الحاجة ملحة لوجود صحافة مسرحية تخصصية لا تخالطها مواد من أجناس أدبية وفنية أخرى لا علاقة لها بالمسرح، فكانت مجلة الحياة المسرحية الفصلية، وقد صدر العدد الأول منها في صيف 1977م، وجاء تأسيسها تنفيذاً لقرار الندوة الفكرية لمهرجان دمشق للفنون المسرحية السادس وتحقيقاً لرغبة رجال المسرح في سورية والأقطار العربية الأخرى المشاركة في المهرجان. تقول السيدة د. نجاح العطار وزيرة الثقافة في الكلمة التي افتتحت بها المجلة: "يسعدني أن أقدم العدد الأول من مجلة المسرح إلى القراء في سورية والوطن العربي، وأن أضع بين أيديهم مجلة ثقافية متخصصة، وهي ثمرة جهد كبير بذله رجال المسرح في هذا القطر والأقطار العربية الأخرى، وهي تطمح أن تكون مجتمعاً للفكر العربي المسرحي والعالمي وما بينهما من تبادل وتفاعل" وقد كلف برئاسة تحريرها على التعاقب: سعد الله ونوس، نبيل حفار، فرحان بلبل، جمال عبود، جوان جان.

حرصت الحياة المسرحية منذ تأسيسها ولفترة طويلة من مسيرتها على أن تكون مرجعاً أكاديمياً للمسرحيين، حيث نجد فيها الأبحاث الكبرى لكبار الباحثين والنقاد، وكنا نقرأ فيها أبحاثا وافية ومحاور وملفات عن بعض الشخصيات المسرحية والمهرجانات السورية والعربية، وفي الفترة الأخيرة من مسيرتها ولا تزال متواصلة تراجعت الأبحاث الكبيرة لصالح المتابعات الصحفية للأنشطة المسرحية المتعددة في دمشق والمحافظات الأخرى، وربما يعود ذلك إلى غياب الباحثين الكبار ذوي الشغف العلمي المسرحي، وبخاصة وأن قسم النقد في المعهد العالي للفنون المسرحية لم يخرّج من يعوّض هذا الفقدان، فثمة انزياح للخريجين نحو التلفزيون وكسب العيش في ظروف صعبة للغاية، أو لخطة المجلة الجديدة في أن تكون موادها راصدة للحركة المسرحية عامة ووثيقة يستفيد منها الدارسون فيما بعد.

انتظم صدور الحياة المسرحية بعد أن شهد بعض التأخير وازدواج الأعداد وأصبح لها مراسلوها المكلفون والمتطوعون في المحافظات، وأعطت اهتماماً خاصاً لنتاجات الشباب وبخاصة النصوص المسرحية حتى بلغ عدد النصوص المنشورة في أحد أعدادها (90-91) وهو عدد مزدوج (14) نصاً مسرحياً سورياً، وكان هذا الاهتمام بغرض إعادة الاعتبار إلى النص المسرحي السوري ومؤلفه، ونفي ما يزعم من وجود أزمة نص مسرحي.

عاصرت المجلة منذ بداياتها وحتى الآن، وقد نشرت وحدي فيه أكثر من (60) مادة وبحثاً مسرحياً. والحقيقة أننا كنا مجموعة باحثين مسرحيين ونقاداً وكتابا سوريين وعرباً نعتبر المجلة بيتنا المسرحي والثقافي، ونحرص على أن نمدها بالبحوث الكبيرة الموثقة في البحث والنقد المسرحي العادل، ومتابعة المهرجانات العربية والمحلية وندواتها الفكرية، حتى غدت المجلة مرجعاً للمسرح وتقنياته وتاريخه وعروضه، وقد بلغ عدد النصوص المسرحية المنشورة فيها أكثر من 150 نصاً مسرحياً مع دعم واضح للنص المحلي، ومع الاهتمام أيضا بنصوص مسرح الطفل، هذا عدا اللقاءات والاستطلاعات والمواد المسرحية النظرية والتنظيرية والتطبيقية، ومن الملاحظ أن الأعداد الأخيرة من المجلة قد أوسعت مجالاً رحباً للنصوص الشابة ونصوص الأطفال رغم تباين مستوياتها.

الوحدة الوطنية أولاً

• رشاد أبوشاور

لا أكرر كلاما كتبته مرارا وتكرارا، وكتبه غيري، ودعا له كثيرون في (الساحة) الفلسطينية، ولذا أتوقف عند (صفقة القرن)، صفقة ترامب – نتنياهو، التي تبتلع (كل الأرض) الفلسطينية، ولا تبقى للفلسطينيين أي إمكانية لإنشاء دولة عاصمتها القدس، وسيدة على حدودها، تحديدا مع الأردن، أي السيادة على ضفة النهر الغربية، وتواصلاً بين المدن الفلسطينية.. وبدون مستوطنات انتشرت في الضفة ملتهمة الأرض، ومستوطنين يبلغ تعدادهم، حاليا، قرابة ال800 ألف مستوطن.. والعدد يزداد يوميا!

ما الذي شجّع ترامب على (صفقته)؟ وما الذي شجّع حكامنا عربا ودولهم، أو دويلاتهم، على (التطبيع) مع الكيان الصهيوني، و.. الترحيب بصفقة ترامب علنا وبدون مداورة؟

وضعنا الفلسطيني المنقسم، المتشظي، الضعيف.. والذي ضعف بعد (أوسلو) وازداد ضعفا بعد انقسام غزة عن الضفة، ونشوء سلطتين متنافرتين، متعاديتين، متصارعتين متحاربتين.

الوحدة الوطنية لأي شعب، لأي ثورة في العالم، لكل الشعوب المظلومة الساعية للتحرر من الاستعمار، والهيمنة الأجنبية، كانت، وما زالت، وستبقى: الشرط الأساس للانتصار.. وأولاً.

من فيتنام إلى الجزائر، حققت شعوب العالم انتصاراتها بوحدتها الوطنية، وبوحدتها الوطنية، وبرامجها المتفق عليها.. مضت قدما، بشعب موحد ملتف حول (برنامج) واضح محدد يعرفها كل مواطن، ويؤمن به، ويعمل على هديه...

هذا تحقق لنا نحن الشعب العربي الفلسطيني بميثاق منظمة التحرير الفلسطينية القومي، والذي نشأت المنظمة، وبنت مؤسساتاها بناء على التوافق عليه في مجلس وطني (قوي) رغم أنه غير منتخب، ولكنه متوافق عليه لتميّز أغلب شخصياته المختارة.. وكذا اللجنة التنفيذية التي عملت على تنفيذ برنامج المنتظمة.

الاختلاف بدأ معلنا بعد حرب تشرين 73 التي عرفت بحرب أكتوبر، ومع بدء طروحات فلسطينية تنازلت عن شعار التحرير لكامل التراب الوطني الفلسطيني.. وتفاقم الأمر بعد أوسلو بحيث تباينت الأهداف، وتصادمت، وافترقت.

بعد صفقة ترامب، والتي يفترض أن لا تفاجئ أي فلسطيني، وعربي – لأنها تمضي على مسيرة رؤساء وإدارات الحكم في أمريكا – ولعوامل عديدة، والتي تهدف إلى إنهاء القضية الفلسطينية بقدس موحدة عاصمة للكيان الصهيوني.. ووضع يد الكيان الصهيوني على ضفة نهر الأردن الغربية، والبحر الميت كاملاً من الجهة الغربية والشمالية __ أي لا شئ للفلسطينيين- وكل السهول غربي النهر.. والمياه للكيان.. والمستوطنات كلها تابعة للكيان.. مع منحة للفلسطينيين في معازلهم تضاف (لهم).. هي منطقة المثلث بكاملها وعاصمتها مدينة الطيبة، وبهذا يتخلصون من تكاثر الفلسطينيين في عمق فلسطين المحتالة عام 48...

هذه هي (نعم) الوسيط الأمريكي (النزيه)!!

ألا تدفع صفقة ترامب، وعد بلفور الجديد.. الفلسطينيين للوحدة الوطنية؟ لوضع برنامج وطني موحّد يجمعهم حوله، ويحدد لهم الطريق والأهداف والوسائل؟!

ماذا تبقى للفلسطينيين؟ أهناك (أمل) بإمكانية الظفر بدولة في حدود ال67؟! بعد صفقة ترامب.. وتحقيق برنامج الليكود الذي وضعه مناحم بيغن عام 77 لحل القضية الفلسطينية، وهو: حكم ذاتي للفلسطينيين على أنفسهم.. والأرض (أرض إسرائيل) بكاملها، والذي قدّم كهدية لنتنياهو وما يمثله هو وريث بيغن؟!

بقي للفلسطينيين: مراجعة مسيرة السلام – أوسلو- وموقف حاسم من الدور الأمريكي المعادي، ليس في زمن ترامب، ولكن منذ إدارة ترومان عام 47.. بل وقبل ذلك، والدور الأمريكي المعادي لعرب فلسطين انحاز مع وعد بلفور وعمل على تثبيته على الأرض بتأسيس (الكيان) الصهيوني تحت الانتداب البريطاني...

والمراجعة لا بد أن يشارك فيها (الكل) الفلسطيني، وليست الفصائل كما اعتادت في المجالس الوطنية.. مراجعة جادة تستخلص النتائج، ويبني عليها.. وتفتح لشعبنا طريقا واضحا صوب فلسطين التي (تلتهمها) أمريكا والكيان الصهيوني.. شريك السلام الذي لم يبق شيئا بعد مسيرة أوسلو.. والوسيط غير النزيه (أمريكا) راعية النهب الصهيوني لما تبقى من فلسطين التي رُضي بها (دولة) على 22% ...

هل ستنتهي حقبة الرهانات، والانتظار، ويتم الانتقال إلى حقبة جديدة متفق عليها، ببرنامج وطني وحدوي جامع يعيد الحيوية الثورية لشعبنا بحيث يمضي مع (القيادة) التي تتم ولادتها مع هذا البرنامج الوطني.. برنامج (العامل) الفلسطيني الذاتي الذي سيصد تطاول دول عربية لم يتجرأ حكامها في زمن مضى على عبثهم بالقضية الفلسطينية.. (والتأستذ) على شعبنا.. والتفريط والتطبيع.. بل والانحياز للكيان الصهيوني ضد شعبنا، وقضية أمتنا المقدسة: فلسطين...

إضاعة الوقت من جديد.. ستأخذ قضيتنا إلى حيث لا يريد شعبنا، وأحرار أمتنا، وكل الأصدقاء في العالم.

منا، نحن عرب فلسطين يبدأ تصحيح المسار، تستأنف مسيرة شعبنا ظافرة التي تجاوزت المائة عام.. ومنا تبدأ هزيمة (صفقة) ترامب، وبشعبنا الموحد تتحقق الانتصارات على المشروع الصهيوني العنصري المجرم.. وينحصر دور (الدول اللقيطة) التابعة.. وحكّام آبار النفط!!

الرسائل الوجدانية زمن الحرب

القصائد المقاومة أغان ورسائل ساهمت في صنع النصر

إبان الحرب الوطنية العظمى في الاتحاد السوفييتي

•د. أيمن أبو الشعر

قدم الاتحاد السوفييتي أثناء الحرب العالمية الثانية – الحرب الوطنية العظمى- أكثر الصفحات الإبداعية المضيئة إنسانيا وتضحية وفداء وحماسا في جميع الفنون، وخاصة الشعر والقصة والرواية. وكان من البديهي أن تكون القصائد سواء التي تحولت إلى أناشيد وأغان، أو تلك التي تم تناقلها على كل لسان كتأكيد على المقاومة أكثر التصاقا بالمشاعر المتأججة عدا عن أنها لعبت دورا حماسيا مباشرا، ورافقت الجنود وهم يتوجهون إلى الجبهات، والأنصار الفدائيين وهم يقومون بأعمالهم البطولية خلف خطوط العدو أو في المناطق التي احتلها، عدا عن تشجيع الناس في الداخل على مزيد من الصبر والعطاء. وحتى أولئك الأدباء الذين لم يتمكنوا من خوض الحرب بشكل مباشر نتيجة عوامل عديدة وضعوا ظانفسهم تحت تصرف قيادة الدفاع الشعبي حتى أن الكاتب الكبير ميخائيل شولوخوف صاحب الدون الهادئ كتب إلى اللجنة الدفاع الشعبي يقول» اعتبروني مستعدا في أية لحظة للانخراط في صفوف جيش العمال والفلاحين الأحمر للدفاع عن وطني الاشتراكي حتى آخر قطرة من دمائي» (1)

ويلفت النظر في هذا المجال أن انخراط غالبية السكان في الدفاع عن الوطن جعل الكثيرين من الأدباء والشعراء يعايشون تجربة القتال ضد النازيين بشكل مباشر، ويشاركون في المعارك مما أعطى لنتاجاتهم مسحة حميمية واقعية منبثقة عما عاشوه وعايشوه، واستشهد المئات منهم وهم يحملون السلاح، أو في معسكرات الاعتقال. وانتشرت القصيدة الأغنية كالنار في الهشيم، ومن أوائل هذه الأغاني اللاهبة قصيدة الحرب المقدسة لكوماتش، والتي لحنها الكساندروف وأدتها فرقة الجيش الأحمر:

وليكن للغضب الشهم أن يغلي كالموج
فالحرب الشعبية تمضي
إنها الحرب المقدسة (2)

وتنوعت الأغنية القصيدة، فتناولت حتى أنواع الأسلحة والعمليات الحربية، فهناك أغان عن معراك الدبابات والطيران وأخرى عن المشاة أو البحرية:

ووداعا يا هوانا يا مدينة
في غد للبحر نمضي
من عميق نحو أعمق
إذ يلوح الشال حبا
خلف ألواح السفينة
راعشا واللون أزرق (3)

وانتشرت بشكل خاص في الحرب الوطنية العظمى القصائد الأغاني التي تتحدث عن الحياة والفراق والحب والخوف من الموت فقط لأنه قد يحول دون هذا القاء المنتظر، وبشكل خاص تلك التي تنبثق عن تجربة حقيقية كما في القصيدة الأغنية «في المكمن الأرضي» لسوركوف الذي كان في الجبهة ووقع في حقل ألغام، فتذكر حبيبته وهو على بعد خطوات من الموت، ولكنه يتمكن من الوصول إلى المكمن الأرضي وهو أشبه ما يكون بغرفة صغيرة منيعة وسط الخنادق تحت الأرض:

كي ألتقيك الدربُ نائيةٌ قصيةْ
وبضع خطوات إلى الموت الوصولْ
في بردِ هذا المكمن الأرضيِّ إني أتدفأ
بالحبِّ حبُّك ليسَ يُطفا (4)

من جهة ثانية حاولت القصائد الأغاني أن تستنهض التراث الثوري والعزف على الحس الأممي، وحتى استنهاض مشاعر التلاحم إبان الحرب الأهلية انطلاقا من تعايش القوميات في وطن يضم قوميات عديدة تتنافس على الفداء والتضحية في سبيل صونه والدفاع عنه، يضاف إلى ذلك اعتماد اللغة البسيطة، والعبارات السهلة والجمل السريعة بحيث تحمل بذاتها إيقاعات يمكن ترنيمها، ثم تأخذ مداها إبان التلحين والأداء. ولم يخل الأمر من ملامح المرح الضرورية في هذه الأجواء الجهمة، والاعتماد على المفارقات الحياتية محملة بالروح الوثابة، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالحرب والمقاتلين دفاعا عن الوطن، والشوق للحبيبة التي تنتظر أن يعود حبيبها بطلا حقيقيا سجل المآثر، ثم تتراجع في أحلامها وتبسطها في إطار مداعبة مرحة متمنية أن يعود حيا وهذا أهم شيء:

حينَ مضى للحربِ الجهمةْ
في ليلٍ نجميِّ الظلمةْ
عرضَ على المحبوبةِ قلبهْ
فأجابتْ تلكَ المعتدةُ وهي تمازحْ
حينَ تعودُ وفوقَ الصدرِ وسامْ
نتحدثُ في أمرِ الخطبةَ...
لم تمنحْهُ الحربُ وساما
لكنْ كُرِّم بمداليةْ
كالطائرِ جاءتهُ رسالةْ
عُدْ لي حتى بمداليةْ (5)

ولعل من أشهر القصائد الأغاني إن لم تكن أشهرها على الإطلاق قصيدة قسطنطين سيمونوف «انتظريني سوف أعود»، وقد ساهم في شهرتها الواسعة كذلك أنها كرست نمطا واتجاها كاملا في أدب الحرب، وهو أدب الرسائل من الجبهة، ويلخص فيها الشاعر بشكل حي وحميمي جدا تلك المشاعر التي يعيشها الجندي، وهو يقاتل الأعداء، ويخفق قلبه بالحب، ونتيجة هذا الحب يؤمن أنه سيعود حتما لحبيبته إن كانت تنتظره بكل تلك اللهفة التي عنده، والحقيقة أن القصيدة الأغنية – الرسالة هي في الواقع موجهة إلى الجمهور عبر الحبيبة لأنها تعكس مشاعر فردية- عامة فردية، بمعنى أن كل شخص يعيشها بدرجات متفاوتة، وعامة كونها تمثل ذاك الجيل المقاوم الذي يمنحه الحب القدرة على التغلب على جميع الصعاب، والرائع في هذه القصيدة أن الجنود حين انتشرت بسرعة هائلة بينهم كانوا ينسخون بعض مقاطعها ويرسلونها لحبيباتهم عبر رسائلهم من الجبهات:

انتظريني سوف أعودْ
لكنْ انتظري بصمودْ
انتظري إنْ حزنٌ جاءْ
عبْرَ الأمطارِ الصفراءْ
انتظريني سَوفَ أعودْ
وسْطَ الحرِّ أوانَ يهوجْ
إن هبَّتْ عاصفةُ ثلوجْ
... حين يملّ جميعُ الناسْ
حلمَ المنتظرِ الموعودْ
انتظريني سَوفَ أعودْ

وهو يستنهض في هذه القصيدة ليس مشاعر الصمود وحسب، بل ويطالب حبيبته بألا تصدق ما كان يشاع أحيانا عن أن فلانا قد قتل، وفلانا قد أسر، ويطلب منها أن تسترشد بقلبها وألا تفعل كما فعلت بعض الفتيات اللواتي قيل لهن أن الذين ينتظرنهم قد ماتوا، وآن أوان النسيان. ومثل هذه القصص تكرس فاجعة ثنائية حتى وإن كان الأصدقاء قد أقاموا مأتما بصدق، فهو يشدد على رفض الاستسلام لهذه الأنباء لأن الحب الهائل بينهما سوف ينقذه حتما:

لا تتمني الخيرَ لمنْ
يحفظُ غيباً أنْ قد حانْ
في البُعد أوانَ النسيانْ
... وليتعبْ صحبي في الدارْ
منتظرينَ بقربِ النارْ
وعلى ذكرى روحي خمرا
إن جرعوا تذكاراً مُرّا
لا ترتشفي كأسَ خلودْ
انتظريني سوف أعودْ

ثم تجيء الخاتمة الموضحة لهذه الأسطورة، وهي أن الحب الحقيقي يستطيع أن ينتصر

أنا بخير

للشاعر اليوناني مينيلاوُس لوديميس

(Menelaos Ludemis)

عن الرومانيّة

•د. يوسف حنّا

أَنا بخيريا أُمّي... يا شروقي...
أركضُ لترويضِ خوفك. أنا بخير..
أجلسُ في ظلالِ ألمي،
وأتركُ ريشتي للبكاء...
أُمّي...
رعشةُ اليَدَيْن...
السنواتُ البريئةُ التي نجتْ منَ الأحكام...
التنهداتُ التي تعدُّ تنقلاتِ المنافي...
"أَنا بخير"..
"أولاً، يا أُمّيَ المحترمة.
أولاً جئتُ لأسألَ... ولا أسألُ شيئًا.
هنا لا يجوزُ السؤالُ.. لكنّي بخير...
حتى لو كانت الفراشةُ المشنوقةُ معلقةً فوقَ رؤوسهم.
حتى لو تآكلتْ أقدامُ بناتِ آوى منَ القطران.
"أنا بخير"..
بدايةَ وقبلَ كلِّ شيءٍ، يا أُمّي... أن نكونَ بصحة!
صدري يصرخُ بثغاءٍ مبحوح.
الجلادُ يحسبُ الساعاتِ على ضلوعي.
بدايةً وقبلَ كلِّ شيءٍ، يا أُمّي... سامحيني اليومَ
واغفري لي اليومَ أيضاً لأنك لن تعرفي الحقيقة.
الحقيقةُ كَبُرتْ وشاختْ ولم تَعُدْ تسافر.
لن تعبرَ البحرَ.
الحقيقةُ، يا أُمّي، رصاصةٌ. ولا أنوي قولَها.
"أنا بخير."
اليومَ انتهيتُ منَ الرسالةِ الألف. لكنّني أعلَمُ...
أنَّ لديكِ الوقتَ لتَلَقّي رسائلي.
لكنْ سامحيني. سامحيني يا أُمّي.
لرتابةِ الآلافِ من "أنا بخير".
تلكَ الأكاذيبِ الألفِ الرتيبة.
أكتُبُ لكِ مُجدّداً.
وأضعُ رسالتَكِ على رُكبتيّ.
وأُداعبُها مثلَ طائرٍ حزين.
يَدي تكتبُ وحدَها
درسيَ الصغيرَ والمريرَ:
"أنا بخير."
أنا أعلمُ، آه يا أُمّي...
أعلمُ أنّني أُرسلُ لكِ يوميًا
جرعةً من مراري. وأنا أعلمُ
أنّكِ تُداعبينَ كَذبي كُلَّهُ.
وترشينَهُ بالدموعِ والأحاديثِ الطويلة.
وأعلمُ
أنَّ أيَّةَ كلمةٍ أُخرى لن تغادرَ من هنا.
"أنا بخير."
يُمكنُكِ، يا غاليتي، قراءَتها دونَ ضوء.
لا تحتاجينَ حتى لقراءَتها.
يكفي أن تَصِلَ، وأن تسمعي وراءَ البابِ
صوتَ ساعي البريد.
عندَها، يا أُمي، قد لا أكونَ بخير.
ولكن عليكِ أن تُصدّقي ما أكتبُ لكِ.
"أنا بخير."
أنا بخير.. لأنّني أستطيعُ مَسْكَ قلمِ الرصاص.
أنا بخير.. لأنّني أستطيعُ أن أُطلقَ الأنينَ.
أنا بخير.. لأنّني أستطيعُ أن أُكدسَ الأوراقَ.
"أنا بخير."
آه، لو كانَ بإمكاني الحصول على سماءٍ مليئة بمثل هذه الطيور الكاذبة.
أُطلقُها إلى الفضاء...
لتَصِلَ إلى هناك، حينَ لا أقوى على التنفُس.
تَطرُقُ بمناقيرها على نافذةِ منزلنا
تلك التي تُطلُّ على البحر
وتزقزقُ جوقاتُها بالأكاذيب.
"أنا بخير."
أنت يا أُمّي... أنت التي تقرأُ بأصابعها.
أنتِ، التي تتحدثُ بلغةِ اليَدَيْن.
لامسي الوَرَقَةَ بشفتَيْكِ
تَمامًا مثلما كنتِ تفعلينَ وأنا طفلٌ يعاني من الحُمّى...
واقرأي الورقةَ غيرَ المكتوبة،
إقرأيها مباشرةً من قلبي:
أُمّي... أُمّي، آه يا أُمّي...
الجسمُ الذي طالما داعَبْتُهُ يَداكِ
ذابَ اليومَ تحتَ الحَجَر.
الصوتُ الذي كانَ يُتَرْغِلُ في نومكِ
بُحَّ اليومَ تحتَ السِّكين.
لكنْ عليكِ أن تَضحكي، غاليتي! إضحكي...
وقولي في قرارةِ نفسكِ أنَّكِ استيقظتِ من حلمٍ مُروِّع.
إضحكي لتطرديه عنكِ.
عليكِ أن تضحكي، وأنا... إهدأي يا أُمّي،
"أنا بخير."
اليومَ سكبوا نوري. أنا بخير.
أنا بخير.. بالأمس قصّوا أظافري.
تباطأتْ مَخاوفي، أنا بخير.
أنا بخير. غداً سوفَ يَصلبوني.
أنا بخير.. أنا بخير.. أنا بخير...
أنا بخير. رغمَ أنّي فقدتُ العقلَ والتفكيرَ.
أنا بخير. رغمَ أنّي فقدتُ الكلماتِ لأصرُخَ.
أنا بخير. رغمَ أنّي فقدتُ يَدَيَّ لأكْتُبَ.
لهذا السبب أحفرُ. لأُدفَنَ في القبرِ الغضّ،
فوقَ هذه الهاوية المُجتاحَة بالرياح.
في هذه المقبرة المجنونة
حيثُ كلّ الموتى
بخير!

مينيلاوُس لوديميس (Menelaos Ludemis 1912 -1977)
كاتب ومترجم يوناني، اسمه الحقيقي ديميتريوس (تاكيس) فالاسياديس.

بوشكين والشرق

• محمد مخلص حمشو

يُعَّد الكسندر بوشكين الذي ولد في مدينة موسكو1799م "شمس الشعر الروسي" وشاعر روسيا الأكبر وأعظم شعرائها في القرن التاسع عشر ومؤسس لغتها الشعرية الذي وصل لمرتبة لم يصل إليها حتى اليوم شاعر آخر حتى كاد العصر كله يسمى بعصر بوشكين ما حدا بداره أن صارت مكاناً مقدساً ومزاراً لكل أبناء الوطن بعد رحيله .

هذا الانسان الشاعر يختلف اختلافا جذريا عن غيره في بنائه وتأملاته وأفكاره وطريقة إيمانه وتناوله لمواضيع أعماله الأدبية المتعددة.. وقد كان مسلماً بالروح والقيم والاستلهام وتأثر بالإسلام والآداب الشرقية حضارياً وروحياً وأنك لتشعر وأنت تقرأه أنه في كتابة أشعاره يقتبس القصص والأمثال والتعابير من القرآن الكريم

بوشكين لم يعش أكثر من 36 عامًا، وقد ترك الكثير من الآثار الأدبية؛ لدرجة أن قراءه يشعرون أنه قد عمَّر كثيرًا لكثرة إنتاجه. أحس الشاعر مبكراً بمعاناة الشعب الروسي البسيط، والقهر والاضطهاد اللذين يتعرض لهما. وقد عكست كتابات بوشكين الشعرية والنثرية حياة الشعب ومعاناته .

وكما أسلفنا يعتبر عصر بوشكين هو العصر الذهبي للشعر الروسي، وعصر التقارب بين الأدب الروسي من جهة والآداب العربية والشرقية من جهة أخرى والمتتبع لأعمال بوشكين يلاحظ أثر الشرق واضحا وبجلاء ، حيث تتبوأ ثقافة الشرق في دائرة معارف بوشكين ومصادر ثقافته وإنتاجه مكانة مرموقة وهي – في غالبيتها- قريبة الصلة "بالحضارة العربية الإسلامية"، فقد اجتذب الشرق العربي اهتمام بوشكين إبان مرحلة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، فجال بعقله وثقافته بين أرجاء هذه الحضارة يفتش بين رموزها ويقتبس ويكتب

وقد عرف عن بوشكين حبه للتجديد في شعره الذي كان يهدف من خلاله إلى إلغاء القيصرية، والقضاء على حق استرقاق الفلاحين. قصائد بوشكين العاطفية والغزلية وقصته الشعرية الرومانتيكية "نافورة باخشي سراي" تعكس تأثر بوشكين بقصائد الغزل العربية والفارسية وبالأسلوب الشرقي للشعر الذي ارتبط في تصور الأدباء الروس بوفرة المجازات والتشبيهات والاستعارات .

تعرَّف بوشكين على "ألف ليلة وليلة" من خلال الترجمات التي ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر والجدير بالذكر أن مجموعة القصائد التسع التي يجمعها العنوان "قبسات من القرآن" تمثل أكبر شاهد على تأثر بوشكين بالتراث الروحي للشرق العربي الإسلامي، وكبرهان دامغ على قدرة القيم القرآنية على عبور آفاق الزمان والمكان والتغلغل في نفوس أناس لا يؤمنون بعظمة القرآن الكريم وأما عن أثر الحضارة الإسلامية العربية في أعمال أمير شعراء روسيا ألكسندر بوشكين فهي واضحة في أعماله القصصية والشعرية' حيث عكست علاقة الموضوع العربي في إنتاج بوشكين، فقد استلهم في "روسلان ولوديلا" الأثر الأدبي العربي الكبير حيث عكست ألف ليلة وليلة بعد أن وجد به الخيال الذي يكمن في أعماق المثل الأعلى الأخلاقي المميز لرومانتيكية بوشكين وأما عن تأثره بالقرآن فنجده في مقطوعة لبوشكين متأثرا بآية النور حيث يقول :

لقد أضأت الشمس في الكون
وأضأت أيضا السماء والأرض
مثل نبتة كتان تمتلئ بالزيت
تضيء في مصباح بلوري
صل ّ للخالق فهو القادر
فهو يحكم الريح في يوم قائظ
ويرسل السحب الى السماء
ويهب الأرض ظل الأشجار

وفي القصائد التسع واحدة عن قصة النمر ودمع إبراهيم عليه السلام وأخرى عن قصة العزير الذي أحياه الله كما في سورة البقرة وقصائد مستوحاه من سور أخرى من القرآن الكريم .

والجدير بالذكر أن الأستاذ مالك صقور كان قد كتب كتابا يحمل عنوان "بوشكين والقرآن"

قحط

•مريم علي جبة

في «نهايات» عبد الرحمن منيف نقرأ:

(إنه القحط.. مرة أخرى، وفي مواسم القحط تتغير الحياة والأشياء، وحتى البشر يتغيرون، وطباعهم تتغير، تتولد في النفوس أحزان تبدو غامضة أول الأمر، لكن لحظات الغضب، التي كثيرًا ما تتكرر، تفجّرها بسرعة، تجعلها معادية، جموحًا، ويمكن أن تأخذ أشكالاً لا حصر لها. أما إذا مرّت الغيوم عالية سريعة، فحينئذ ترتفع الوجوه إلى أعلى وقد امتلأت بنظرات الحقد والشتائم والتحدّي.

وحين يجيء القحط لا يترك بيتًا دون أن يدخله، ولا يترك إنسانًا إلاّ ويُخلّف في قلبه أو في جسده أثرًا).

لكن ماذا لو اعتلى هذا القحط النفس البشرية، بمعنى ماذا لو تجردت النفوس البشرية من العواطف الدافئة والحب والشوق.. هنا لا شك سيكون المرء في مثل هذه الحالات في وضع لا يُحسد عليه، فتصوروا إنساناً لم يعد يستطيع الحب، ولم يعد تنتابه أحاسيس هذا الحب، وغاب الشوق عن قلبه، شوقه لذاك الحبيب الذي غاب أيضاً، ولم يعد يصلح لأن يكون حبيباً، بل المُحب نفسه لم يعد يصلح لأن يُحبّ..

قالت لي امرأة ذات يوم: لم أعد أجيد أحاسيس الحب، وأصبح الشخص الآخر بالنسبة لي عقبة حقيقية، والرجل الذي أحببته يوماً وكان يشكل كل حياتي رحل إلى الأبد منذ سنين، ولم أعدّ أرى في الرجال الآخرين سوى أشخاص بلا ملامح، لا يجيدون سوى تكريس نظرتهم للمرأة على أنها وسيلة لمتعتهم، أو بريستيج لسهراتهم الآنية «التافهة».. إنها كارثة أن تشعر المرأة بهذا الشعور.. وتضيف المرأة المذكورة: إنني لا أعاني من مرض نفسي، ولا أعيش على ذكرى حبيبي الذي رحل، إنه «القحط» أعيش شعوراً بـ «اليباس».. !

وهنا تذكرت ما كتبته ذات حب :

تعال..
فقد مللت الانتظار..
تعال..
فالعود آثر على اليباس..
هبه الماء من عينيك.. ليستعيد حيويته وقوته..
بابي مفتوح..
فتعال وادخل..
دون أن تقرع الباب.

إنه «القحط» مرة أخرى.. ورغم الإحساس بهذا الشعور «المرّ» إلا أن ثمة في النفس دعوة دائمة للحب.. للدفء.. للشوق.. للعيش ضمن كل هذه الأحاسيس التي تحضر إذا ما حضر ذاك الطرف الآخر الذي يكون يستحق الإحساس بكل تلك المشاعر التي تُختصر بكلمة اسمها «الحب».. فهل الحب لا يزال موجوداً؟

وأستذكر هنا ما كتبه الصديق الراحل الشاعر أحمد تيناوي: « أخاف على كوثر قلبي إن أقفلت غيم ابتسامتك، وأخاف أن أفقد لون عيني، فتخجل مني مرآة الصباح حين تراني.. آه.. أخاف أن يكون ما أخاف عليه قد رماني»!!.

تعزية

فجعت الزميلة الشاعرة جازية الشيخ علي برحيل خالها في الأسبوع الماضي.

رئيس اتحاد الكتاب العرب واعضاء المكتب التنفيذي وأسرة الأسبوع الأدبي يتقدمون من الشاعرة العزيزة وأهلها الكرام بخالص العزاء والمواساة،وتغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه الجنة.

زيدان وسمير وقط أسود

•إيمان مصطفى ليلا

مرّة أخرى ينبض هذا الساكن في صدري نبضات خارج إيقاعاته المألوفة. أحاول أن أقبض عليها. أخنقها. أحاربها بذات النصال التي أتخمت سنوات عمري الأخيرة بالبؤس. أتسلح بالحراب التي أدمت قلبي ألف مرّة، أشرعها كلها لتقف في وجه هذا القادم، لكنه يكتسحني. يحطم أسلحتي كلها، ويبعث في خافقي رعشة لست أدري كيف استكنت لها؟.

كأني أزحف فوق رمال حارة في صحراء قاحلة، ليس فيها ألا نتف أشواك هنا وهناك.. هجير محرق، وبريق ضبابي غريب، يقف ساكنا وسط الأفق.

أكاد أسقط. أطبق عيني، أحتمي برموشي من رغبة تقودني إلى عار الاستسلام.

فجأة انتصب أمامي بقامته الفارهة، مد يده وهمس: تعالي.

هطل صوته ورائي كرذاذ ماء بعث في أوصالي نشوة، وراح يندف، ويندف. انتشلني في لحظة سحرية من جوف الخراب.

أحدهم يراقبني. أشعر أنه يتابع حركاتي بفضول، يتفحصني بدقة. أبحث عبثا بين عشرات الوجوه المتحلقة حول طاولات المكان الجميل الذي حملوني إليه، ولا أستطيع اكتشافه.

قالوا: وسط ضجيج الناس وفرحتهم تنسين.

موسيقى هادئة تنساب من ركن بعيد، تصلني، ولا تبعث في نفسي ذلك الوصف الذي زينوه لي. أطفال يتراكضون، نساء ورجال يتهامسون بظرافة، يفتعلون حركات مضحكة. يتأنقون. يخفون وراء أقنعة أعرف أنها مزيفة أشياء وأشياء.

هذا الجالس على الطاولة الثالثة، يسكب همسه في أذن صبية حالمة كما سكب "زيدان" في أذني منذ أكثر من ست سنوات أوجاع حبّه، ولهفته المحمومة. هو يفعل ذلك الآن للوصول إلى ساعة يتظللان فيها وحدهما كما تظللنا على سرير حالم تحت سقف واحد.

يكذب.. تمنيت لو أستطيع أن أسر في أذنها وأقول لها: إنه يكذب.

أحدهم يراقبني. أشعر أن أحداً يراقبني. تخوض عيناي بين أرتال الناس. أصافح وأتصفح عشرات الوجوه المشدودة إلى بعضها، كلها لا تهتم بي. كلها مشغولة برصف الأكاذيب، وتزيينها.

أستطيع أن أعيد على مسامع كل واحد منهم حتى حروف الكلمات التي نسجت حول رغباتهم أسيجة شفيفة، ورفعت سدوداً في وجه أسئلتهم. لاشيء يساوي نصل حبّ يغوص في قرارة القلب. حين تصبح الرغبة دائرة ضيقة جداً، لا فرق في طلبها بين صدق وكذب. تترجح بين النقيضين شفاه تنفرج وتطبق ولا تتكلم، وعين ساجية لا تسمع، بل تبحث بشوق أخرس أصم عن لحظة عناق.

قال لي: أحبّك.

فعزفت أذنايَ عن باقي الكلام. حملت روحي إلى حديقة زينتها كما أشاء، وصنعت لنفسي عرشا اعتليه، وتشبثت به.

قال: أنت عمري.

فركلت عَمري تحت قضاء قدميه..

يومها تزوجنا.

عشت معه أجمل أيام عمري.

• • • •

أي عيون تنظر إلي ؟ ربما ذلك البعيد الجالس في الركن القصي. هاهو ذا يقوم.

تابعت خطواته حتى باب الخروج، لم يلتفت، وغاب ...

سنة وستة أشهر، ودنيانا لا تمتد لأبعد من السرير وعتبة البيت الذي جمعنا.

جارية كنت لأمير سميته "زيدان" أقتل نهاراتي بين المطبخ ، والمرآة، أختار له قمصانه، وجواربه. أشمها، وأودعها بدعواتي المخلصات لمن سيرتديها. علمني كيف ألبس، وكيف أتكلم ، فتعلمت كيف أجعل من جدران البيت الصماء جنة خضراء.

يقول لي: أعبدك.

فأقرأ في عينيه مكامن جمال عندي لم ألتفت إليها من قبل. يجعلني أكتشف أن كل ما في رائع، عيناي، شفتاي، قوامي ..

يقول لي: حتى آخر لحظة من حياتي سأظل عبدك.

فأعشق في جسدي كلّ ما يعشق، تأخذني المرآة ساعات، أبدل ملابسي عشرات المرات حتى أطمئن إلى ثوب يرضيه.

ونمضي أوقاتا مرحة.

وصرت ربما بفعل العادة أعشق كلّ ركن في بيتي، وكل ما يحبّ، رضيت طائعة أن أكون جارية. حذفت من مفردات حياتي كلمة لا.

فجأة انتشلتني ابتسامة باهتة من رحلة البؤس التي مازالت تأخذني وتغوص بي في دقائق الساعات التي زحفت بطيئة على هيكل عمري المطحون تحت رحى خمس سنوات طوال.

رجل آخر مازال بريق الجدة يطل من جبهته، يقف أمامي بلحمه ودمه. على وجهه ابتسامة آسرة أطل بها على صحراء عمري. لم أتبين ملامحه جيدا، لكنني أحسست أنه صاحب العيون التي بحثت عنها بين أرتال الناس. اقترب من طاولتي.

هاتان العينان. لست أدري لم تصورت ألا عيون يمكن أن تكون أصفى منهما. ابتسامة خجولة باهتة تتسع على طرف شفتيه.

يا إلهي .. وقف أمامي مباشرة ، نظر في وجهي طويلا، ثم ألقى بين يدي ورقة صغيرة وانصرف.

قرأت ماهو مكتوب عليها:

"غداً في الساعة الثانية عشرة انتظري اتصالاً هاتفياً مهما. المخلص سمير".

سميرا

أصابعي ترتجف ، ورأسي يدور كأنني أعيش في حلم. طويت الورقة ، وأخفيتها بسرعة في جيب قميصي.

ثقيلاً موجعاً كان ذلك الصباح. لأول مرّة تأبى أشعة الشمس البرتقالية دخول مخدعي، كأنها تحس الخدر الذي يسري في ساقي، حاولت النهوض، لكن الخدر انقلب إلى ألم صاعق أفقدني كل السلطة على حواسي، صرخت.. رددت جدران غرفتي صرختي. زحفت.. زحفت، أجر ساقي ورائي كجثتين متيبستين، أجاهد كي أصل إلى سماعة الهاتف.

صحوت على رجل يرتدي مريلة بيضاء، وربطة عنق أنيقة، رأيت بين أصابعه آلة حادة يطعن بها فخذي، ثم يلتفت فجأة إلى من حولي، ويبصق كلمة واحدة: شلل.

لم أسمع في لحظة الصمت البائسة التي دوت في رأسي كثيرا شيئا مما ردده وشرحه بعد ذلك.

بعد شهر واحد ضاع كل شيء .. البيت والمرآة والسرير والذكريات و«زيدان» أخذ كل شيء ومضى، ثم رماني كما ترمى الفضلات، وشطب حياتي في عبارة صغيرة جاءت في ورقة وصلتني، ومهرتها بتوقيعي، أعلنت طلاقي.

لم يبق لي سوى جدران غرفة صغيرة اقتطعتها أختي من بيتها الصغير، وكرسي بعجلات هو أقصى ما خرجت به من عمري. زواج لم يدم أكثر من سنة وستة أشهر. ينقلني من زاوية إلى أخرى، ويثبتني ساعات أمام نافذة صغيرة تشرف على شارع خلفي أراقب منها الأحياء القلائل يروحون ويغدون.

حشد من القطط تتقاطر كل صباح بتوقيت محدد لتلتقط أقواتها مما يقدمه لها « أبو فهد » من مخلفات أحشاء وأطراف الذبائح التي يبيعها في دكانه الصغير، يتقدمها قط أسود، يبدو أنه الأقوى، يمشي بخيلاء فيمارس الجميع حوله طقساً لا يتبدل، لا أحد يجرؤ على الاقتراب من دائرته حتى يأخذ حصته. يختارها بعناية، ويحملها بين أسنانه. أراقبه وهو يمضي بتؤدة واطمئنان، يهز ذيله، ولا يلتفت إلى أحد. بعدها ينقض الجميع لالتهام ما يبقى.

منذ خمس سنوات وأنا ميتة إلا من وجيب خافت يلفظه قلبي يقول: إنني على قيد الحياة.

أكره جسدي. أكره ذاكرتي. ألف مرّة أخذتني عجلات الكرسي إلى حافة الشرفة، وكنت أتراجع.

كرهت كتبي ودفاتري، غطيت المرايا، ومزقت كل أثوابي الحمراء، وأبقيت على الليل. سميته حبيبي، وخلقت في صمته ساحة أعبر إليها وحيدة، ظللتها لأزيد من عتمتها، وألقيت فيها الحطام والأشلاء ، فأمست ساحة خانقة ليس فيها سواي.

عيناي تجوسان عشرات المرات بين حروف الكلمات المرسومة بعناية على قصاصة الورق، تنتصب ممحاة في أقصى زاوية من قلبي. ركنت فيها حقدي وخيبتي ودموعي خمس سنوات طوال، تعلن هكذا ببساطة قدرتها على مسح أي شيء يمكن أن يقف بيني وبين لمسة لحلم مازال يعشش في أعماقي.

بيت أحس أنه لي، ورجل يحميني من غوائل الزمان ونفسي، وولد أكمل فيه دائرة الخلق، ويسكت ضجيج لهفتي للأمومة.

يهمس، فتنقل إلى مسامعي أسلاك الهاتف كلمات أنتقي منها ما أريد إنني الفتاة التي رسمها في خيالاته، وأنني حلمه. يعرف عني كل شيء. زواجي الأول، مرضي، حزني. يعترف أن النزهة التي حملتني إلى ذلك المقهى كانت مرتبة بينه وبين زوج أختي. حاولت أن أهرب من رقة كلماته لكنه لم يترك لي أكثر من لحظة تأمل أذرفها وراء كل طيف لأمنية أثيرة.

كنت كلما بدأت في إمساك ومضة شجاعة في نفسي، ووضعت على لساني كلمات هي حقائق عني، وأشرفت على إيصالها. يقاطعني.

يقول: أستطيع أن أحبّك حبا يمسح بطرفة عين كل آلامك وآلامي.

ترى هل يستطيع أن ينحت حباً جديداً في ركام امرأة أوصلتها أحزانها باكراً إلى خريف الثلاثين ؟.

هل يستطيع أن يطفئ طيف الخطوط الباهتة التي بدأت تغزو صفحة وجهي؟ ويعيد إلى شفتي بريقهما القديم؟ هل أستطيع أن أكون له؟ هل أستطيع أن أنسى سنة وستة أشهر؟ غرزت في لحمي ثوانيها، وأتخمتني بطمأنينة كنست في طريقها أصغر قشة شك، ثم فجأة انهارت عن آخرها أمام حدث قدري، أقعدني، وفرش أمامي ساحات وساحات معبأة في حلقة سنوات خمس، أجوس فيها ولا أرى غير غبية شرحتها مباضع الخيانة والخيبة والأنانية، وقط أسود يفرض ذكورته مع إطلالة كل صباح.

تبدلني الأيام أم أبدلها ؟. ألف سؤال وضعته على صفحة مرآتي الرائقة، كانت تبتسم في وجهي، أتراها تسخر مني؟ أم تشاركني رحلة الصعود.؟ أم أنها تشفق علي ؟.

في داخلي أشياء كثيرة تصرخ. تتوسل تحت قدمي المتيبستين ترجوني كي أقبل. تقول لي بخبث:

تجربة جديدة. هي طريق سهلة تفتح مصاريعها إذا أشرت بالموافقة. تقودك كما تقود إناث الأرض إلى مآلين.

هاهي ذي تضع أمامي كلّ إشارات القبول، وتستهين بأية نتيجة.

طلاق جديد. وليكن. لقد خضت تجربة أقسى، وصمدت. أي مصير آخر لن يشكل في تكويني الجديد أي فارق. لم تعد تلك الأحاسيس المثالية تهمني. أريد أن أخرج من حلقة الوحدة التي تمتص رحيق حياتي قطرة، قطرة.

الساعة تقترب من الثانية عشرة. حين يلتصق العقربان يكون بين يدي. أتلهف لأتلقى سعادته وأنا أزف له موافقتي. سأترك المرآة موارية بيننا، أتابع النبضات الحية التي لابد لها أن ترسم شكلاً ما على تقاطيع وجهه، وأتبع في الوقت نفسه قراءة النبضات التي سترتسم عبر السطح المصقول على تفاصيل وجهي.

أخذتني عجلات الكرسي إلى نافذتي. الشارع خال من المارة، وأبو فهد مشغول داخل دكانه، وقبل أن أرتد إلى مرآتي، رأيته..

قط أسود يزحف على بطنه يجر قائمتيه الخلفيتين المهروستين، ويتسلق بصعوبة عتبة الرصيف. يتلفت حوله ، يطمئن إلى أن فريق القطط لن يعود إلى المكان قبل إطلالة صباح الغد. يطعن رأسه على بلاطات الرصيف، ويبدأ بشغف لحس ما تبقى من طعام .

دم حار بدأ يغزو عروقي، نظرت إلى السماء فوجدتها أوسع مما كانت قبل لحظات. لم أغلق النافذة هذه المرّة، بل تركتها مشرعة.

عقربا الساعة يتلاصقان .. «سمير» يقف أمامي بقامته المديدة، ابتسامة رائقة ترتسم على شفتيه. كأنني رأيت « زيدان « يقف وراءه.

لم أفزع. ولأول مرّة في حياتي شعرت أن سيدة حقيقية تحتلني.

رفعت رأسي عالياً، اقتلعت من بين أسناني وجعاً نخر عظمي خمس سنوات. كلمات دافئة رقيقة رتبتها بأناقة كلمة إثر كلمة :

لا أستطيع أن أحتمل منك أو من سواك خيبة أخرى.

أغلقت الباب وراءه بهدوء.

ألقيت نظرة عابرة إلى المرآة، وجدتها تبتسم لي بشغف، وانتصار.

الأدب الأسبوعي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: مالك صقور
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: أ.محمد حديفي

مدير التحرير: د.حسن حميد

الإشراف الفني: نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني: مها حسن

هيئة التحرير: أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب، علوش عساف، عماد نداف، محمد الحفري

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله.
تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy
E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني hotmail.com@alesboa2016
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

آخر الكلام

أ.محمد حديفي - رئيس التحرير

العنف في الأدب الصهيوني - ١١ -

تحدثنا في المقالة السابقة عن كاتبين صهيونيين اتخذا العنف ضد الأطفال الفلسطينيين منهجاً، شددا من خلاله على تمييز الأطفال «الإسرائيليين» ووصفهم بالخارقين، في حين أن الأطفال العرب الفلسطينيين في نظر هذين الكاتبين فهم بغيضون، أغبياء، قبحاء، بدائيون، مخادعون أذلاء، معادون بفطرتهم للحضارة والتطور، يكرهون الجمال والحب، وينفرون من كل ما هو جميل وجديد، ولا فرق في ذلك بين كبير وصغير، ومتعلم وأمي، وبيّنا أيضاً أن من أبرز الكتّاب الإسرائيليين الذين كرّسوا أدبهم لمهمة توصيف أطفال إسرائيل بالخارقين، حادّي الذكاء، لا يقهرون، واسعي الحيلة، سريعي البديهة، وذلك لأنهم سليلو شعب مختار يجترحُ المعجزات هما كاتبان الأول «هاري لابين» والثاني هو الكاتب «شراجا أغافني»، ولكل واحد من هذين الكاتبين اسم مستعار.

يورد الدكتور علي سليمان مؤلف كتاب «العنف في الأدب الصهيوني» قولاً للكاتب «شراجا أغافني» فيقول حول هذا الموضوع: كنت أسأل نفسي باستمرار ماذا يمكن أن أقرأ لو كنت طفلاً أعيش مثل هذا الواقع، ثم يجيب: نحن نعيش في زمن صراع مع العرب.. نعيش فيما يمكن أن نطلق عليه حقول الدم، لهذا نجد من واجبنا أن نبتعد عن كتابة القصص الجميلة، التي تتحدث عن الفراشات والزهور، ويضيف كاشفاً عن الهدف الحقيقي لكتاباته: إنني أريد أن أخلق الجيل الذي ينتقم لي ويأخذ بثأري، وهذا الجيل هو مئات الآلاف من القراء الأطفال الذين يتهافتون على قراءة كتبي..

وعندما سئل «لابين» عن مؤلفاته وكتبه التي تغذي الشعور بالنقمة والحقد والجريمة لدى الأطفال أجاب: هذا هو مشهد الحرب التي نخوضها ضد أعدائنا، ولا يوجد أمامنا خيار إلا مواجهتهم وتحطيمهم..

هذا هو منطق الكتاب الصهاينة، دعوة إلى قتل الأطفال الفلسطينيين وتصفيتهم قبل أن يكبروا، ويصبحوا شباناً قادرين على مجابهة العدو الذي اغتصب أرضهم، وشرد الكثيرين منهم في الشتات ليعيشوا غرباء عن ديارهم وأرضهم، بحيث نجد رغبة عند الصهاينة دون استثناء قتل أحلام هؤلاء الفلسطينيين لكي يمتنعوا عن وأن يشعلوا بالعودة، لأن الأرض التي يحلمون بالعودة إليها هي أشبه بالجحيم الذي لا يطاق ولا يحتمل.

إن كتاب الدكتور علي سليمان، وما قدمه من إضافات جديدة للقارئ العربي عن الأدب الصهيوني الذي يروج ويدعو إلى اضطهاد العرب ويحقر من شأنهم.. بالرغم من كل ذلك، إلا أنه لم يتوسع في المقابل بذكر أعمال الأدباء والشعراء واليهود عموماً، ونظرائهم «الإسرائيليين» خصوصاً الذين نبذوا العنف الموجه ضد العرب ودعوا إلى التعامل معهم كأنداد لليهود يستحقون كل الاحترام والتقدير، وأدانوا الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وممارسات جنوده اللاإنسانية ضد الفلسطينيين.

وفي تقديري أن التوسع في هذا البحث يحتاج لمجلدات كثيرة ووقت وجهد كبيرين.

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب اليهود وبخاصة الذين كتبوا قبل عام 1948 استندوا في كتاباتهم على ما قرؤوه في الصحف والدوريات العبرية، وهي في معظمها آراء خاطئة عن العرب، بمعنى أنهم لم يكتبوا بعد احتكاكهم بالعرب والتعايش معهم لذلك جاءت آراؤهم خاطئة ومغلوطة..

يبقى أن نقول أن الكتاب قدم معلومات قيمة عن نظرة الكتاب الصهاينة، وحقدهم على كل ما هو عربي، وسعيهم الدؤوب لغرس الكراهية في نفوس أطفالهم، ليواصلوا قمع العرب، وإكمال رسالة الدولة العبرية في الاستيلاء على كامل فلسطين، ومن ثم البدء بالتوسع وقضم الأرض العربية.

وككلمة أخيرة لابد من توجيه الشكر كل الشكر لمؤلف هذا الكتاب «العنف في الأدب الصهيوني» الدكتور علي سليمان لما بذله من جهود حتى قدم لنا هذه المعلومات التي من شأنها أن تفتح عيون العرب وبخاصة الناشئة منهم عن الحقد الدفين الذي يكنه الصهاينة للفلسطينيين بشكل خاص، والعرب بشكل عام.

من يقرأ بعناية المشهد السياسي الآن يشعر بكثير من الحرقة والأسى حينما يشاهد الولايات المتحدة الأميركية ماضية في تعزيز قدرة الكيان الصهيوني في المنطقة، عن طريق ما سمي بصفقة القرن التي إن تمت ستسهم إلى حد كبير في طمس حقوق الفلسطينيين، وقتل أحلامهم في العودة إلى وطنهم الأم فلسطين..

والأدهى من ذلك أننا نرى بأم أعيننا ومع الأسف الشديد هرولة بعض الحكام العرب للتطبيع مع الصهاينة وكسب ودهم..

الأمل الآن معقود على أبطال فلسطين في الأراضي العربية المحتلة في أن يواصلوا رفضهم للمشروع الأميركي، وأن يشعلوا انتفاضة جديدة تفشل هذا المشروع قبل أن يستفحل ويتجذر، ولعل الفلسطينيين يدركون أن الشرفاء من العرب لن يدعونهم وحيدين في هذه المعركة المصيرية..

المراجع:
1 - كتاب الدكتور علي سليمان «العنف في الأدب الصهيوني»
2 - دراسة نقدية لنعيم ناصر.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

جديد مجلة (التراث العربي)

صدر العدد الجديد من مجلة «التراث العربي» الفصلية التي يصدرها اتحاد الكتّاب العرب، وقد اشتمل على دراسات، ومحاور.

افتتاحية العدد للدكتور علي دياب رئيس التحرير، جاءت تحت عنوان (الأمير موسى بن أبي غسان:)، ومنها نختار «شهدت مملكة غرناطة حقبة من الفتن الأسرية والصراع على الحكم فيها، مما عمل على إضعافها أمام قوى الفرنجة، التي كانت متربصة بها، وفي الربع الأخير من القرن التاسع الهجري /15م/ حققت قشتالة وأراغون وحدتهما، وازداد نفوذهما ضد غرناطة، وتأكدت هذه الوحدة بينهما بعد زواج فرديناند ملك الأراغون بإيزابيل ملكة قشتالة وليون وأصبحت الدولة الجديدة قوية وتخضع لأوامر الكنيسة والبابوية، التي ساءها ما تحقق على أيدي العثمانيين المسلمين في الوصول إلى أوروبا حتى فيينا عاصمة النمسا حالياً، ومن ثم احتلال القسطنطينية عام ثلاثة وخمسين وأربعمئة وألف، وهذا ما زاد من حماسة الكنيسة ورجال الدين للانتقام من المسلمين في غرناطة على الرغم من أن السلطنة العثمانية يومها لم تستجب لاستنجاد الأندلسيين بها، ونتيجة للخلافات التي عاشها حكام غرناطة».

أما محور تاريخ العلوم فكان (تقديم) أ. د. أحمد الخضر، (علم الطب والمؤسسات الطبية في العصر الأموي) أ. د. أحمد الخضر، (دراسة في الاتجاهات النقدية لعلم الفلك اليوناني) أ. م. د. عبده القادري، (تاريخ الرياضيات في الشرق العربي القديم) د. عبد الله السليمان، (سبق الحضارة العربية الإسلامية في الرياضيات) أ. د. عمار محمد النهار.

وفي محور الأدب والنقد نقرأ: (التصورات الجمالية في أدب المتصوفة) أ. د. أحمد علي محمّد، (تجليات الذات الشاعرة في الشعر القديم) د. غيثاء علي قادرة.

محور الفكر: (الاتجاهات السياسية في صدر الإسلام وأثرها في وضع الحديث) د. بديع السيد اللحام.

وفي آخر الكلام: (ظلال «سناء» في جواز السفر) أ.د. محمد موعد.